توزع مجاناً
٤٢
رجب ١٤٣٣
حزيران ٢٠١٢
مجلة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

أسعد الله أيامنا وأيامكم
بمناسبة مولد أمير المؤمنين

٢ **قطوف دانية من السيرة الحسينية**
الإمام الحسين عليه السلام في أرض كربلاء
–الحلقة الثانية–

٤ **في رحاب علوم القرآن**
الشبهات في القرآن الكريم

٦ **على ضفاف نهج البلاغة**
تأملات في الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام

٨ **مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية**
استحباب نقل الميت الى المشاهد المقدسة للدفن فيها

١٠ **اخلاقك هويتك**
القوة الغضبية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج

١٢ **مباحث عقائدية**
الأئمة الاثنا عشر

١٤ **اعلام الشيعة**
الشيخ عباس القمي النجفي رحمه الله

١٦ **معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم**
طبق من فاكهة الجنة كرامة لسيد الشهداء عليه السلام

١٧ **من مناهل مدرسة الدعاء**
على مائدة الصحيفة السجادية – الحلقة الثالثة عشرة –

١٨ **فقه الأسرة وشؤونها**
طاعة الوالدين

٢٠ **عبر من التاريخ**
اتّق شر مَن أحسنت إليه

٢١ **معارف عامة**
النوم وما يحدث فيه

المشرف العام
الشيخ علي الفتلاوي

رئيس التحرير
السيد نبيل الحسني

مدير التحرير
الشيخ وسام البلداوي

هيأة التحرير
محمد رزاق السعدي
السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي
خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني
السيد علي ماميثة
أحمد محسن المؤذن

التنفيذ
مطبعة دار الضياء

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
www.imamhussain.org
www.imamhussain-lib.org
info@imamhussain-lib.org

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -
وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩: ١٢١١

الكعبة لا تزين علياً عليه السلام

عندما يتأمل المحب لعلي أمير المؤمنين عليه السلام ما ورد عن ولادته في الكعبة المشرفة يلمس حرصاً من فريق يريد أن يجعل الولادة في الكعبة فضيلة يرفع بها علياً عليه السلام، وفريق آخر يحاول طمس هذه الفضيلة بطريقة وأخرى، فتارة يكذب الرواية وأخرى يجعل لها مثيلاً مع غيره، وثالثة يفسرها بأنها لا تعد فضيلة وان وقعت، وغيرذلك من المحاولات.

ولكي نقف على ما هو الحق، نقول:

إن علياً سيد الأوصياء وحجة الله تعالى وخليفة الرسول الأكرم وزوج البتول وأبو السبطين وإمام المتقين وسيد البلغاء المتكلمين وقائد الغر المحجلين ويعسوب الدين ومفترض الطاعة وباب مدينة العلم وهارون الأمة والأقضى والأعلم والأشجع بعد أخيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

و... و.. إلى أن تنتهي الأوراق وتكل الأقلام عن ذكر فضائله، فكيف يستطيع المبغض أن يطمس هذه الشخصية الإلهية؟! ولِمَ يخاف المحب أن تتزعزع منزلة علي عليه السلام ومرتبته؟

فإذا عرفت ذلك فأعلم: أن الله تعالى جعل ولادة علي عليه السلام في الكعبة، لأنه علم منه أنه سيكون عبداً كما يحب مولاه تعالى ويكون أسوة وقدوة كما يريده سبحانه، ويؤدي دوره كحجة، ووظيفته كإمام للناس على ما أراد جل وعلا.. أفبعد كل هذا تكون الولادة في الكعبة هي من يرفع علياً عليه السلام أم ما له من الخصال والصفات وما عليه من العبودية لله تعالى؟

أوليس هو القائل «كفاني فخراً أن أكون لك عبداً وكفاني زهواً أن تكون لي رباً، فأنت كما أحب فاجعلني كما تحب»؟ فلا أقول جديداً إذا قلت إن علياً عليه السلام هو من زين الكعبة وليست الكعبة هي من زينت علياً عليه السلام، وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة» فكيف إذا كان علياً أمير المؤمنين عليه السلام؟!.

المشرف العام

الإمام الحسين عليه السلام في أرض

لقاؤه مع عبد الله المشرقي

نقل الطبري عن أبي مخنف أنّه قال:

حدّثنا عبد الله بن عاصم الفأش - بطن مِنْ همدان - عن الضّحاك بن عبد الله المشرقيّ، قال: قدمت ومالك بن النضر الأرحبيّ على الحسين، فسلّمنا عليه ثم جلسنا إليه، فردّ علينا فرحّب بنا وسألنا عمّا جئنا له فقلنا: جئنا لنسلّم عليك وندعو الله لك بالعافية، ونحدّث بك عهداً، ونخبرك خبر الناس، وإنّا نحدّثك إنّهم قد جمعوا على حربك فَرِ رأيك.

فقال الحسين عليه السلام:

«حَسْبِيَ اللّه وَنِعْمَ الوَكيلُ».

قال: فَتذمّمنا وسلّمنا عليه ودعونا الله له.

قال:

«فَما يَمْنَعُكُما مِنْ نُصْرَتي؟».

فقال مالك بن النضر: عليّ دين ولي عيال، فقلت له: إنّ عليّ ديناً وإنّ لي لعيالاً، ولكنك إن جعلتني في حلّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً.

قال: قال:

«فَأَنْتَ في حِلٍّ».

فأقمت معه.

لقاؤه عليه السلام مع هرثمة

عن الصدوق قال: حدّثنا أحمد ابن الحسن القطّان، عن السكّري، عن الجوهريّ، عن قيس بن حفص الدارميّ، عن حسين الأشقر، عن منصور بن الأسود، عن أبي حسّان التيميّ، عن نشيط بن عبيد، عن رجل منهم، عن جرداء بنت سمين، عن زوجها هرثمة بن أبي مسلم قال: غزونا مع عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - صفّين، فلمّا انصرفنا نزل بكربلا فصلّى بها الغداة، ثمّ رفع إليه من تربتها فشمّها ثمّ قال:

«واهاً لكِ أيّتها التّربة، ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب».

فرجع هرثمة إلى زوجته وكانت شيعة لعليّ عليه السلام فقال: ألا أحدّثك عن وليّك أبي الحسن؟! نزل بكربلا فصلّى ثمّ رفع إليه من تربتها فقال:

«واهاً لكِ أيّها التّربة، ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب».

قالت: أيّها الرّجل فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلاّ حقاً.

فلمّا قدم الحسين عليه السلام قال هرثمة: كنت في البعث الذين بعثهم عبيد الله بن زياد لعنهم الله، فلمّا رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث فجلست على بعيري ثمّ صرت إلى الحسين عليه السلام فسلّمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الّذي نزل به الحسين عليه السلام.

فقال:

«مَعَنا أنْتَ أمْ عَلَيْنا؟».

فقلت: لا معك ولا عليك، خلّفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد.

قال:

«فَامْضِ حَيْثُ لا تَرى لَنا مَقْتُولاً وَلاَ تَسْمَعُ لَنا صَوْتاً، فَوَ الّذي نَفْسُ حُسَيْنٍ بِيَدِه لا يَسْمَعُ الْيَوْمَ واعِيَتَنا أحَدٌ فَلا يُعينُنا إلاّ أكَبَّهُ اللّه لِوَجْهِهِ في جَهَنَّم».

لقاؤه عليه السلام مع سفير عمر بن سعد

وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد في أربعة آلاف من أهل الكوفة إلى كربلاء، حتى نزل بالحسين عليه السلام من الغد من يوم نزل الحسين عليه السلام نينوى، ثم دعا عمر بن سعد رجلاً من أصحابه يقال له عمرو بن قيس، فقال له! امض يا هذا إلى الحسين، فقل له: ما تصنع في هذا الموضع؟ وما الذي أخرجه عن مكة وقد كان مستوطناً بها؟ فقال عروة بن قيس: أيها الأمير! إني كنت اليوم، أكاتب الحسين ويكاتبني، وأنا أستحي أن أسير إليه، فإن رأيت أن تبعث غيري فابعث.

قال بعث إليه رجلاً يقال له فلان بن عبد الله السبيعي، وكان فارساً لا يرد وجه عن شيء، فقال له عمر بن سعد: امض إلى الحسين فسَلْه ما الذي أخرجه عن مكة وما يريد.

قال: فأقبل السبيعي نحو الحسين،ثم قال له الحسين عليه السلام لما رآه:

«ضَعْ سَيْفَكَ حَتّى نُكَلِّمَكَ!».

كربلاء

الحلقة الثانية

فقال: لا ولا كرامة لك، إنما أنا رسول عمر بن سعد، فإن سمعت مني بلغتك ما أرسلت به، وإن أبيت انصرفت عنك، فقال له أبو ثمامة الصائدي: فإني آخذ سيفك.

فقال: لا والله لا يمس سيفي أحد؛ فقال أبو ثمامة: فتكلم بما تريد ولا تدن من الحسين، فإنك رجل فاسق، قال: فغضب السبيعي ورجع إلى عمر بن سعد وقال: إنهم لم يتركوني أصِلُ إلى الحسين فأبلغه الرسالة.

فقال عمر بن سعد لرجل آخر من خزيمة: امض إلى الحسين ـ عليه السلام ـ وقل له ما الذي جاء بك إلينا وأقدمك علينا؟ فأقبل حتى وقف بإزاء الحسين ـ عليه السلام ـ فنادى:

فقال الحسين عليه السلام:

«أتَعْرِفُونَ هذَا الرَّجُلَ؟».

فقالوا: هذا رجل فيه الخير إلاّ أن شهد هذا الموضع.

فقال:

«سَلُوهُ ما يُريدُ؟».

فقال: أريد الدخول على الحسين عليه السلام، فقال له زهير رضوان الله تعالى عليه: ألق سلاحك وأدخل.

فقال: حبّاً وكرامة، ثم ألقى سلاحه ودخل عليه فقبل يديه ورجليه وقال: يا مولاي ما الذي جاء بك إلينا وأقدمك علينا؟

فقال عليه السلام:

«كُتُبُكُمْ».

فقال: الذين كاتبوك هم اليوم من خواص ابن زياد.

فقال له:

«إرْجَعْ إلى صاحِبِكَ وَأخْبِرْهُ بِذلِكَ».

فقال: يا مولاي من الذي يختار النار على الجنّة فو الله ما أفارقك حتّى ألقى حمامي بين يديك!

ثم بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام قرّة بن قيس الحنظلي، فقال له: ويحك يا قرة إلقَ حسيناً فسله ما جاء به؟ وماذا يريد؟

فأتاه قرّة بن قيس، فلمّا رآه الحسين عليه السلام مقبلاً قال:

«أتَعْرِفُونَ هذَا؟».

فقال حبيب بن مُظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة تميمي وهو ابن أختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد.

فجاء حتّى سلّم على الحسين عليه السلام وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه، له.

فقال الحسين عليه السلام:

«كَتَبَ إلَيَّ أهْلُ مِصْرِكُمْ هَذا أنْ أقْدِمَ، فَأمّا إذْ كَرِهُوني فَأنا أنْصَرِفُ عَنْهُمْ».

وروى الخوارزمي: أن الإمام عليه السلام قال:

«يا هذا بَلِّغْ صاحِبَكَ عَنّي إنّي لَمْ أرِدْ هذَا البَلَدَ، ولكِنْ كتبَ إلَيَّ أهْلُ مِصْرِكُمْ هذا أنْ آتيهُمْ فَيُبايِعُوني وَيَمْنَعُوني وَيَنْصُرُوني ولا يَخْذُلُوني فَإنْ كَرِهُوني انْصَرَفْتُ عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ».

وروى الدينوري أنه عليه السلام قال:

«أبْلِغْهُ عَنّي إنّ أهْلَ هذَا الْمِصْرِ كَتَبُوا إلَيّ يَذْكُرُونَ أنْ لا إمامَ لَهُمْ، وَيَسْأَلُونَني الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ، فَوَثِقْتُ بِهِمْ، فَغَدَرُوا بي، بَعْدَ أنْ بايَعَني مِنْهُمْ ثَمانِيَةَ عَشَرَ ألْفَ رَجُل، فَلَمّا دَنَوْتُ، فَعَلِمْتُ غُرُورَ ما كَتَبُوا بِهِ إلَيَّ أرَدْتُ الانْصِرافَ إلى حَيْثُ مِنْهُ أقْبَلْتُ، فَمَنَعَني الْحُرَّ بْنُ يَزيدَ، وَسارَ حَتّى جَعْجَعَ بي في هذَا المَكان، وَلي بِكَ قَرابَةٌ قَريبَةٌ، وَرَحِمٌ ماسَّةٌ فَأطْلِقْني حَتّى أنْصَرِفَ».

فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فقال له عمر بن سعد: إنّي لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله، وكتب إلى ابن زياد بذلك، وأجاب ابن زياد: أعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا.

فلما انتهى كتابه إلى عمر بن سعد قال: ما أحسب ابن زياد يريد العافية.

فأرسل عمر بن سعد بكتاب ابن زياد إلى الحسين، فقال الحسين عليه السلام للرسول:

«لا أجيبُ ابْنَ زِيادَ بِذلك أبَداً، فَهَلْ هُوَ إلاّ الْمَوْتَ فَمَرْحَباً بِه».[1]

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٧٨ ـ ٣٨٢.

الشبهات في القرآن الكريم

كيف نعرف العام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ؟

إن في القرآن عاماً وخاصاً، ومطلقاً ومقيداً، وناسخاً ومنسوخاً، وهل يعرف ذلك إلا الراسخون في العلم؟!

والجواب: إن هذا العلم الإجمالي ينحلّ بالعثور على القدر المتيقن من موارد النسخ والتقييد والتخصيص، فتحكم في سائر الآيات (أصالة الظهور) التي تقضي بأن ظواهر الكلام حجة إذا لم تقم قرينة على الخلاف، وحيث تنتفي تلك القرينة - بالفحص - يكون الظهور حجة بلا إشكال.

وينبغي هنا أن نذكر ملاحظتين:

١ - إن الآيات التي طرأ عليها التخصيص أو التقييد أو النسخ هي آيات محدودة ولا يمكن أن نسحب الحكم المنطبق على بعض الآيات، على القرآن الكريم ككل.

٢ - إن أغلب - أو كل - الآيات التي طرأ عليها التخصيص، أو التقييد، أو النسخ هي الآيات التي تتناول (الأحكام الشرعية) - كأحكام القتال والطلاق والزنى والعدة وما أشبه - ومن الطبيعي: أن الاستنباط من (آيات الأحكام) ونحوها يختصّ بالفقهاء والمجتهدين، ولا يحق للرجل العادي أن يستنبط منها.

وحديثنا هنا في التدبر في الآيات الأخرى، تلك الآيات التي تتناول القضايا الخلقية، والاجتماعية، والثقافية، وما أشبه، مما لا يترتب عليه حكم شرعي، وليس في آيات الأحكام فتأمل.

الذين أخطأوا في فهم القرآن

لقد أخطأ الكثيرون في فهم الآيات القرآنية، وانحرفوا - بذلك - عن سواء السبيل، فمن يضمن لنا: عدم الوقوع في الخطأ، كما وقعوا - هم؟!

أليس من الأفضل أن ندفن رؤوسنا في الرمال، ولا ندور حول مواضع الزلل؟

الجواب: لقد أوضحنا - بشكل ضمني - فيما سبق: أن خطأ البعض في فهم القرآن يعود إلى أحد العوامل التالية:

١ - تحكيم (الأهواء الشخصية) في تفسير القرآن.

٢ - التعصّب لـ(المسبقات الفكرية) المغروسة في أعماق الفرد، وبالتالي: تطويع القرآن لهذه الآراء، بدلاً من تطويع هذه الآراء للقرآن.

ومما يدخل ضمن هذا الإطار التعصب للأفكار المذهبية الخاطئة، ومحاولة تفسير الآيات القرآنية بشكل يؤيد هذه الأفكار.

٣ - التسرع في اعتناق الأفكار التي تظهر للإنسان في بادئ الرأي، وعدم التدقيق في صحة هذه الأفكار أو سقمها.

٤ - عدم الرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام في الآيات المجملة، أو الآيات المتشابهة، وما شابه، وعدم توفر القاعدة العلمية اللازمة فيما يتوقف على ذلك.

أما عندما يكون الفرد تلميذ القرآن المتواضع، ويكيف أهواءه وأفكاره وفق قيم القرآن ومبادئه وليس العكس.

ويتأنى في تقبل ما يخطر على باله من أفكار.

ويعود إلى أهل البيت عليهم السلام فيما تشابه عليه، ويوفر في ذاته القاعدة العلمية الرصينة فيما يتوقف فهمه على وجود مثل تلك القاعدة، عندئذ تقل نسبة الخطأ في فهم القرآن إلى حدود كبيرة.

ويمكن أن تنعدم بالتالي.

كيف نفهم القرآن؟

يقولون: القرآن كتاب يكتنفه الإبهام والغموض، ففيه غموض في الكلمة، وغموض في المعنى، وغموض في المغزى، فكيف نستطيع - بعد ذلك - أن نفهمه؟!

لقد نزل القرآن قبل ألف وأربعمائة عام، وخاطب جيلاً قد مات منذ أمد سحيق، فهل تستطيع أجيالنا أن تفهم القرآن الآن؟!

والجواب:

١ - إن أغلب الآيات القرآنية: هي آيات واضحة، في الكلمات والمعاني، والأهداف: كما قال سبحانه:

((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)).(١)

وبإمكان أي فرد أن يتصفح القرآن الكريم ليجد هذه الحقيقة ماثلة أمام عينيه.

٢ - ولكن: تظل هنالك مجموعة من الآيات غامضة، ومبهمة، وذلك يعود إلى ابتعاد أمتنا عن اللغة العربية الأصيلة، وليس إلى القرآن ذاته.

والسؤال الآن هو:

- كيف نفهم هذه الآيات الغامضة؟

والجواب: هنالك ثلاثة طرق.

أ - الرجوع إلى معاجم اللغة، واستخراج معاني الألفاظ منها.

ب - التدبر في السياق العام للآية، واستنباط معنى الكلمة، أو الآية من خلال ذلك.

ورغم أن السياق ليس عاملاً نهائياً وحاسماً في فهم الآيات القرآنية.

إلا أننا يعيننا - كثيراً - في هذا المجال (إذا كان بحيث يشكّل ظهوراً عرفياً للكلمة أو الجملة) مثلاً:

إذا أردنا اكتشاف معنى (حِوَل) في قوله تعالى:

((إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا)).(٢)

فما علينا إلا أن ننظر إلى سياق الآية الكريمة لكي نكتشف أن معنى (الحِوَل) هو (التحول) و(الانتقال).

أو إذا أردنا فهم معنى (الإملاق) في قوله تعالى:

((وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ...)).(٣)

فما علينا إلا أن ننظر إلى الجو العام المحيط بالآية لنعرف أن معناه هو (الفقر) و(الحاجة).

ج - التفسير:

إن لمعرفة الإطار التاريخي الذي هبط فيه الوحي، والمورد الذي نزلت فيه الآية الكريمة، الأثر الكبير في فهم معاني (الآيات القرآنية)، والأهداف التي نزلت من أجل تكريسها هذه الآيات.

ذلك لأن القرآن نزل بشكل تدريجي، واكب فيه: الأحداث التي واجهها المسلمون في عهد الرسالة، ولم ينزل على الناس مرة واحدة، ولذلك كان من الطبيعي: أن تحمل الآيات طابع الظروف التي هبطت فيها.

وكتب التفسير هي التي تسلط الأضواء على هذه الظروف، وتعطي - بالتالي - الأبعاد الحقيقية للآية الكريمة، (بالإضافة إلى الفوائد الهامة الأخرى التي تمنحنا إياها كتب التفسير).

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.
(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧ و ١٠٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣١.
المصدر: التدبر في القرآن للسيد محمد رضا الشيرازي: ج١، ص٤٨ - ٥٣.

تأملات في الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام

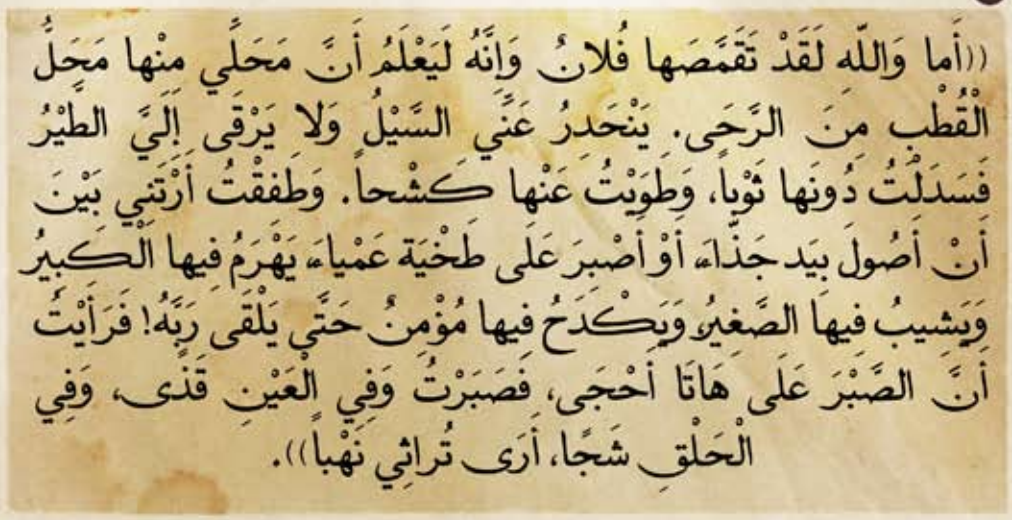

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:
(أما واللّه لقد تقمّصها فلانٌ وإنّه ليعلمُ أنّ محلّي منها محلُّ القُطب من الرّحى. ينحدرُ عنّي السّيلُ ولا يرقى إليَّ الطّيرُ فسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كشحاً. وطفقتُ أرتئي بين أنْ أصولَ بيدٍ جذّاءَ، أوْ أصبرَ على طخيةٍ عمياءَ، يهرمُ فيها الكبيرُ ويشيبُ فيها الصّغيرُ، ويكدحُ فيها مؤمنٌ حتّى يلقى ربّه! فرأيتُ أنّ الصّبرَ على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذًى، وفي الحلقِ شجًا، أرى تُراثي نهبا).

سبب تسمية هذه الخطبة بالشقشقية

لقد اُقتبس اسم الخطبة من عبارتها الأخيرة التي أطلقها الإمام عليه السلام حين قاطع أحدهم الإمام عليه السلام فتوقف، فناشده ابن عباس مواصلة الخطبة فقال له عليه السلام: «تلك شقشقة هدرت ثم قرت».

المضمون العام للخطبة

أن الخطبة تتعرض بجميع نصوصها إلى مسألة الخلافة بعد رحيل الرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله والمشاكل التي أفرزها عصر الحكام ممن سبقوا خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تطرق صراحة إلى أحقيته بالخلافة من الجميع معربا عن أسفه وابتئاسه لخروج الخلافة عن محورها الأصلي الذي خطط له الإسلام والنبي صلى اللّه عليه وآله. وأخيراً يتحدث عن قضية مبايعة الأُمّة والأهداف الكامنة وراء قبول البيعة بعبارات قصيرة غاية الروعة والبيان

الشكوى ممن سرق مقام الخلافة وغصب منصب الإمامة

تشير الخطبة إلى العواصف العنيفة والخطيرة التي هزت الأُمّة الإسلامية وحرفت خلافة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله بعيد وفاته عن مسارها السليم، كما تعرج الخطبة على وخامة المعضلات التي أفرزها تقاعس المسلمين عن الالتزام بنصوص النبي صلى اللّه عليه وآله الواردة بشأن زعامة المسلمين.

فقد استهل الإمام عليه السلام الخطبة بشكواه ممّا آلت إليه الخلافة فقال: «أما واللّه لقد تقمصها فلان وإنّه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحى».

و الضمير في «تقمصها» يعود إلى الخلافة، ولعل التعبير بالقميص إشارة إلى أمر وهو أنّ فلاناً قد استغل مسألة الخلافة كقميص يزين به نفسه، والحال أنّ هذه الرحى تتطلب محوراً قوياً يحفظ نظامها في الحركة ويحول دون إنحراف مسارها وتعثر بفعل المطبات التي تواجهها وتسيرها بما يضمن مصالح الإسلام والمسلمين. أجل فالخلافة ليست قميصا، بل هي الرحى الجامعة، وليس للخلافة من غنى عن المحور. هي ليست ثوباً يرتدى.

عظيم منزلته عليه السلام وسمو مقامه

ثم يستدل(عليه السلام) بدليل واضح على المعنى المذكور ليكشف عن مدى علمه وسمو مقامه بالقياس إلى الذين حكموا قبله قائلا: «ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير».

فقوله(عليه السلام) «ينحدر عنّي السيل» يعني رفعة منزلته كأنّه في ذروة جبل، ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والغيطان.

وقوله(عليه السلام) «و لا يرقى إلىّ الطير» هذه أعظم في الرفعة والعلو من التي قبلها، لان السيل ينحدر عن الرابية والهضبة، وأمّا تعذر رقى الطير فربما يكون للقلال الشاهقة جدا، بل ما هو أعلى من قلال الجبال، كأنه يقول: إنّي لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى

الطير إليها.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بالسيل في العبارة هو علم الإمام عليه السلام الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

لماذا مدح الإمام نفسه وقد ورد عنه قوله (تزكية المرء لنفسه قبيح)؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: هنالك فارق بين مدح النفس والتعريف بها. فقد تكون الأُمّة أحيانا جاهلة بشخصية فرد؛ الأمر الذي لا يجعلها تستفيد منه ومن طاقاته كما ينبغي فالتعريف بالشخص هنا سواء من قبله أو من قبل الآخرين ليس فقط لا ضير فيه فحسب، بل هو عين الصواب والسبيل الصحيح للنجاة وهو بالضبط من قبيل تعريف الطبيب بمجال تخصصه الذي يضعه على الوصفة الطبية، الأمر الذي يهدف إلى إرشاد المرضى في مراجعته ولا ينطوي على أي مديح للشخص.

ما الدليل على قوله عليه السلام (ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير)؟

يبدو أنّ الإجابة على هذا هي أوضح منها على السؤال الأول؟ لان المقام العلمي الذي اُختص به أمير المؤمنين علي(عليه السلام)ليس بخاف على من له أدنى إطلاع بتأريخ الإسلام والمسلمين. فضلاً عن تواتر الأحاديث النبوية الجمة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل علمه وتصريحات العلماء الأعلام في أنّه مصدر كافة العلوم والمعارف الإسلامية وزعيمها، إلى جانب تصديه لأعقد المسائل التي كان يعجز عنها من سبقه من الخلفاء فإن أدنى مطالعة لرسائله وخطبه وقصار كلماته التي جمعت في نهج البلاغة لكافية في الوقوف على هذه الحقيقة. فلو تصفح كل إنسان منصف . مسلما كان أم غير مسلم . نهج البلاغة لخضع متواضعا لعظمة الإمام ولعاش عملياً مفهوم قوله(عليه السلام): «ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إلىّ الطير».

لماذا يشكو الإمام عليه السلام ألا يتنافى هذا ومفهوم الصبر والرضا والتسليم؟

تبدو الإجابة على هذا السؤال سهلة يسيرة. فالصبر والرضا والتسليم موضوع، وتبيين الحقائق ليدونها التاريخ ويلم بها أبناء الاُمّة في الحاضر والمستقبل موضوع آخر، بحيث لا يتضمن الأمر أية منافاة فحسب، بل هو من أوجب الواجبات، وما القضايا المتعلقة بالخلافة إلاّ نموذج حي من هذه النماذج. ففي الحقيقة والواقع أنّ مصالح المجتمع الإسلامي والأجيال الإسلامية القادمة هي التي تحتم تبيين هذه الحقائق كي لا تودع في بوتقة النسيان.

سبب إعراضه عليه السلام عن الخلافة وعدم خوض أي صراع مع الغاصبين

قال عليه السلام: «فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً»، وهذه العبارة تفيد وبوضوح أنّ رد فعل الإمام عليه السلام حيال تلك الحادثة لم يكن يتضمن الاستعداد والتأهب لخوض الصراع والاشتباك مع الآخرين ، بل تجاهل بكل بسالة وزهد ذلك الأمر لأسباب ستأتي.

فالإمام عليه السلام يكشف في هذه العبارة عن حقيقة وهي: أنني لم أنس طرفة عين مسؤوليتي تجاه الاُمّة والوظيفة التي وضعها الله ورسوله صلى الله عليه وآله على عاتقي، ولكن ليت شعري ما أنا فاعل وهناك محذوران:

المحذور الأول: هل أنهض بالأمر وأخوض الصراع مع الغاصبين، والحال لا أملك العدّة والعدد من جانب، ومن جانب آخر فإن من شأن هذه النهضة أن تشق عصا المسلمين وتفرق صفوفهم وتثلج صدور الأعداء والمنافقين الذين يتربصون بالمسلمين مثل هذه الفرصة ليجهزوا على الإسلام.

المحذور الثاني: أنْ ألتزم الصبر والصمت حيال هذه الحادثة في ظل هذه الأجواء الدامسة الظلام. والتعبير بالطخية العمياء ينطوي على روعة في الدقة والبيان فالطخية تعني الظلام، وأحيانا يمكن اختراق الظلمة. إذا لم تكن شديدة . لمشاهدة شبح ما خلالها، غير أنّ هذه الظلمة من الشدة والعتمة بحيث أطلق عليها العمياء لتعذر رؤية أي شيء من خلالها. ثم يتحدث الإمام عليه السلام عن خصائص تلك الظلمة والفتنة ليوجزها في عبارات ثلاث عميقة المعنى فيقول: «يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه».

و يفهم من هذه العبارة أنّ المعاناة ستعم الجميع. فهي تشيب الصغير وتهرم الكبير بينما ستتضاعف معاناة المؤمنين بفعل تصاعد حدة المشاكل التي سيشهدها المجتمع الإسلامي والأخطار التي تهدد كيانه بما يجعلهم يعيشون هالة من الغم والحزن على مصير الإسلام.

فلم تمض مدّة حتى تبلورت تلك الأخطار لتشهد ولادة العصر الأموي الذي تمكن خلال مدّة قياسية من القضاء على الصرح الإسلامي الذي شيده رسول الله صلى الله عليه وآله بجهوده المضنية ومساعيه العظيمة.

استياء الإمام عليه السلام من سنين المحنة والمصيبة

ثم يواصل الإمام عليه السلام خطبته ليعلن عن موقفه تجاه القضية وعزمه على التحلي بالصبر : «فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى». ثم يصف عليه السلام طبيعة ذلك الصبر فيقول: «فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا».

فالعبارة صورة واضحة عن ذروة إستياء الإمام (عليه السلام) وتذمره في تلك السنوات من المحنة والمصيبة، بحيث لم يكن يسعه أن يغمض عينه عن تلك الأحداث أو يفتحها، كما لم يكن يسعه أن يرفع صوته ويعلن عن مدى حرقته، وكيف لا يكون كذلك وهو يقول: «أرى تراثي نهبا».

وللكلام تتمة في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

استحباب
نقل الميت إلى المشاهد المقدسة للدفن فيها

أجمعت كلمة علماء الإمامية أعزهم الله على جواز بل استحباب نقل الموتى إلى مشاهد وأضرحة المعصومين عليهم السلام، ولذلك قال العلامة الحلي قدس الله روحه: (ويستحب نقله ـ أي الميت ـ إلى احد مشاهد الأئمة عليهم السلام لان عمل الإمامية عليه من زمن الأئمة عليهم السلام إلى زماننا فكان إجماعا، ولأنه موضع شريف فينبغي قصده). (تذكرة الفقهاء ج٢ ص١٠٢).

وقال العلامة الحلي أيضا: (وقال علماؤنا خاصة يجوز نقله إلى مشاهد الأئمة عليهم السلام، بل يستحب... فعليه عمل الأصحاب من زمن الأئمة إلى الآن، وهو مشهور بينهم لا يتناكرونه، ولأنه يقصد بذلك التمسك بمن له أهلية الشفاعة، وهو حسن بين الأحياء توصلا إلى فوائد الدنيا، فالتوصل إلى فوائد الآخرة أولى). (المعتبر للمحقق الحلي ج ١ ص٣٠٧).

بل ان الشهيد الأول أعلى الله مقامه عمم حكم النقل إلى غير مشاهد المعصومين عليهم السلام، فقال باستحباب النقل إلى مطلق المقابر التي يكون فيها قوم صالحون أو شهداء، فقال: (ولو كان هناك مقبرة بها قوم صالحون، أو شهداء استحب النقل إليها لتناله بركتهم وبركة زيارتهم). (روض الجنان ص٣١٩).

الروايات الدالة على استحباب النقل

أولاً: مكاتبة علي بن سلمان: قال كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن الميت يموت بعرفات يدفن بعرفات أو ينقل إلى الحرم، فأيهما أفضل؟ فكتب: (يحمل إلى الحرم ويدفن فهو أفضل). (الكافي للكليني ج٤ ص٥٤٣).

ثانياً: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (أنه كان إذا أراد الخلوة بنفسه أتى طرف الغري، فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف فإذا رجل قد أقبل من البرية راكبا على ناقة وقدامه جنازة فحين رأى عليا عليه السلام قصده حتى وصل إليه وسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: من أين؟ قال: من اليمن قال: وما هذه الجنازة التي معك؟ قال: جنازة أبي لأدفنه في هذه الأرض، فقال له علي عليه السلام: لم لا دفنته في أرضكم؟ قال: أوصى بذلك وقال: إنه يدفن هناك رجل يدعى في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال عليه السلام له: أتعرف ذلك الرجل؟ قال لا قال: أنا والله ذلك الرجل، ثلاثا، فادفن فقام ودفنه). (بحار الأنوار ج ٧٩ ص٦٨).

ثالثاً: ذكر الشيخ الأميني (ره) في غديره أهم الجنائز المنقولة قبل الدفن من علماء وقضاة ووزراء وخلفاء وغيرهم ونقلهم إلى أماكن مقدسة كمكة والمدينة أو مقابر البقيع أو مدن مهمة كالكوفة والنجف وكربلاء بلغ تعدادها ثمانون جثة(٢١٨).

رابعاً: ما صرح به العلامة المجلسي قدس الله روحه الطاهرة بقوله: (ومن خواص تربته إسقاط عذاب القبر وترك محاسبة منكر ونكير للمدفون هناك كما وردت به الأخبار الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام). (بحار الأنوار ج ٩٧ ص٢٣٢).

خامسا: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (...وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن). (الكافي للكليني ج٣ ص٢٤٣).

سادسا: عن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إن أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها فقال: ما تبالي

حيث ما مات أما إنه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام فقلت له: وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة أما إني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون). (الكافي ج٣ ص٢٤٣).

سابعا: وفي الجواهر عن بعض مشايخه ناقلاً عن المقداد «قد تواترت الأخبار أن الدفن في سائر مشاهد الأئمة عليهم السلام مسقط لسؤال منكر ونكير) ثم عقب الشيخ الجواهري قدس الله روحه بقوله: (هذا كله مع قطع النظر عما فيه من ملاحظة نفس الأرض وما ورد فيها من الفضل والبركة فان لذلك مدخلية أيضا في مسألة الدفن). (جواهر الكلام ج٤ ص٣٤٦).

نقل الميت من المكان الذي مات فيه إلى غيره عند أهل السنة

قال عبد الرحمن الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة: (وفي نقل الميت من الجهة التي مات فيها إلى غيرها قبل الدفن وبعده تفصيل في المذاهب ... المالكية قالوا : يجوز نقل الميت قبل الدفن وبعده من مكان إلى آخر بشروط ثلاثة :

أولها : أن لا ينفجر حال نقله.

ثانيها : أن لا تهتك حرمته بأن ينقل على وجه يكون فيه تحقير له.

ثالثها : أن يكون نقله لمصلحة كأن يخشى من طغيان البحر على قبره أو يراد نقله إلى مكان له قيمة أو إلى مكان قريب من أهله أو لأجل زيارة أهله إياه فإن فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة حرم النقل.

الحنفية قالوا: يستحب أن يدفن الميت في الجهة التي مات فيها ولا بأس بنقله من بلدة إلى أخرى قبل الدفن عند أمن تغير رائحته، أما بعد الدفن فيحرم إخراجه ونقله إلا إذا كانت الأرض التي دفن فيها مغصوبة أو أخذت بعد دفنه بشفعة.

الشافعية قالوا : يحرم نقل الميت قبل دفنه من محل موته إلى آخر ليدفن فيه ولو أمن من تغيره إلا إن جرت عادتهم بدفن موتاهم في غير بلدتهم ويستثنى من ذلك من مات في جهة قريبة من مكة أو المدينة المنورة أو بيت المقدس أو قريبا من مقبرة قوم صالحين فإنه يسن نقله إليها إذا لم يخش تغير رائحته وإلا حرم وهذا كله إذا كان قد تم غسله وتكفينه والصلاة عليه في محل موته وأما قبل ذلك فيحرم مطلقا وكذلك يحرم نقله بعد دفنه إلا لضرورة كمن دفن في أرض مغصوبة فيجوز نقله إن طالب بها مالكها .

الحنابلة قالوا : لا بأس بنقل الميت من الجهة التي مات فيها إلى جهة بعيدة عنها بشرط أن يكون النقل لغرض صحيح كأن ينقل إلى بقعة شريفة ليدفن فيها أو ليدفن بجوار رجل صالح وبشرط أن يؤمن تغير رائحته ولا فرق في ذلك بين أن يكون قبل الدفن أو بعده.

بعض الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحين وغيرهم ممن نقلت أجسادهم قبل الدفن وبعده

١: مات آدم عليه السلام بمكة ودفن في غار أبي قبيس، ثم حمل نوح تابوته في السفينة، ولما خرج منها دفنه في بيت المقدس (تاريخ الطبري ١ ص ٨٠) وفي أحاديث الشيعة أنه دفنه في النجف الأشرف.

٢: ومات يعقوب عليه السلام بمصر ونقل إلى الشام (حاشية أبي الاخلاص الحنفي ج ١ ص ١٦٨ طبعت بهامش درر الحكام).

٣: ونقل النبي موسى عليه السلام جثة يوسف عليه السلام من مصر بعد دفنه بها إلى فلسطين مدفن آبائه (شرح الشمائل للقاري ٢٠٨).

٤: ونقل يوسف عليه السلام جثمان أبيه يعقوب عليه السلام من مصر ودفنه عند أهله في حبرون في المغارة المعدة لدفن تلك الأسرة الشريفة (تاريخ الطبري ١: ١٦٩،١٦١).

٥: وقد نقل الإمامان السبطان صلوات الله عليهما جثمان أبيهما الطاهر أمير المؤمنين سلام الله عليه من الكوفة إلى حيث بقعته الآن من النجف الأشرف.

٦: عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري والد الصحابي جابر بن عبد الله استشهد هو وصديقه عمرو بن الجموح الأنصاري بأحد ودفنا في قبر واحد فلم تطب نفس جابر فأخرج أباه بعد ستة أشهر. (راجع صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٤٧، سنن أبي داود ٢ ص ٧٢).

٧: عبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث البلدي الأنصاري، استشهد بأحد فجاءت أمه أنيسة بنت عدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إن إبني عبد الله بن سلمة قتل يوم أحد، أحببت أن أنقله فآنس بقربه. فأذن لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في نقله (أسد الغابة ٣ ص ١٧٧، الإصابة ٢ ص ٣٢١).

٨: طلحة بن عبيد الله التميمي المقتول في حرب الجمل سنة ٣٦، دفن بالبصرة في ناحية ثقيف. (راجع تاريخ ابن كثير ٧ ص٢٤٧).

٩: المقداد بن عمرو بن ثعلبة الصحابي المتوفى ٣٣، توفي بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع (الاستيعاب ١ ص ٢٨٠).

١٠: سعد بن أبي وقاص من الصحابة، توفي سنة ٥٤ في حمراء الأسد وهو موضع يبعد ثمانية أميال من المدينة المشرفة، وحملت جثته إلى المدينة ودفن بها (تاريخ الطبري ١ ص ١٤٦).

القوة الغضبية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج

المكر والحيل

اعلم أن المكر، والحيلة والخدعة، والنكر، والدهاء: ألفاظ مترادفة، وهي في اللغة قد تطلق على شدة الفطانة، وأرباب المعقول يطلقونها على استنباط بعض الأمور من المآخذ الخفية البعيدة على ما تجاوز عن مقتضى استقامة القريحة، ولِذا جعلوها ضداً للذكاء وسرعة الفهم، والعرف خصصها باستنباط هذه الأمور إذا كانت موجبة لاصابة مكروه إلى الغير من حيث لا يعلم، وربما فسّر بذلك في اللغة أيضاً، وهذا المعنى هو المُراد هنا.

ولتركبه من إصابة المكروه إلى الغير ومن التلبيس عليه، يكون ضده استنباط الأمور المؤدية إلى الخيرية، والنصيحة لكل مسلم، واستواء العلانية للسريرة.

ثم فرّق المكر ومرادفاته والغِش والغدر وأمثالها، إما باعتبار خفاء المقدمات بعدها فيها دونها، أو بتخصيص الأولى بنفس استنباط الأمور المذكورة والثانية بارتكابها.

ولذا عدت الأولى من رذائل القوة الوهمية أو العاقلة للعذر المذكور، والثانية من رذائل الشهوية، وربما كان استعمالهما على الترادف، وأطلق كل منهما على ما تطلق عليه الأخرى.

هذا وللمكر مراتب شتّى ودرجات لا تُحصى من حيث الظهور والخفاء، فربما لم يكن فيه كثير دقة وخفاء فيشعر به من له أدنى شعور، وربما كان في غاية الغموض والخفاء بحيث لم يتفطن به الأذكياء، ومن حيث الموارد والمواضع كالباعث لظهور المحبة والصداقة واطمئنان عاقل، ثم التهجم عليه بالإيذاء والمكروه والباعث لظهور الأمانة والديانة وتسليم الناس أموالهم ونفائسهم إليه على سبيل الوديعة أو المتشاركة أو المعاملة، ثم أخذها وسرقها على نحو آخر من وجوه المكر.

وكالباعث لظهور ورعه وعدالته واتخاذ الناس إياه إماما أو أميرا فيفسد عليهم باطنا دينهم ودنياهم، وقس على ذلك غيره من الموارد والمواضع.

ثم المكر من المهلكات العظيمة، لأنه أظهر صفات الشيطان، والمتصف به أعظم جنوده، ومعصيته أشد من معصية إصابة المكروه إلى الغير في العلانية، إذ المطلع بإرادة الغير إيذاءه يحتاط ويحافظ نفسه عنه، فربما دفع أذيته، وأما الغافل فليس في مقام الاحتياط، لظنه أن هذا المكار المحيل محب وناصح له، فيصل إليه ضره وكيده في لباس الصدقة والمحبة.

فمن أحضر طعاما مسموما عند الغير مريدا إهلاكه فهو أخبث نفسا وأشد معصية ممن شهر سيفه علانية مريدا قتله، إذ الثاني أظهر ما في بطنه وأعلم هذا الغير بإرادته، فيجزم بأنه عدو محارب له فيتعرض لصرف شره ومنع ضره، فربما تمكن من دفعه، وأما الأول فظاهره في مقام الإحسان وباطنه في مقام الإيذاء والعدوان، والغافل المسكين لا خبر له عن خباثة باطنه، فيقطع بأنه يحسن إليه، فلا يكون معه في مقام الدفع والاحتياط، بل في مقام المحبة والوداد، فيقتله وهو يعلم أنه يحسن إليه، ويهلكه وهو في مقام الخجل منه.

فهذه الرذيلة أخبث الرذائل وأشدها معصية، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ليس منا من ماكر مسلما».

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس».

وكان عليه السلام كثيرا ما يتنفس الصعداء ويقول:

«واويلاه يمكرون بي يعلمون أني بمكرهم عالم وأعرف منهم بوجوه المكر، ولكني أعلم أن المكر والخديعة في النار فأصبر على مكرهم ولا ارتكب مثل ما ارتكبوا».

وطريق علاجه بعد اليقظة أن يتأمل في سوء خاتمته ووخامة عاقبته، وفي تأديته إلى النار ومجاورة الشياطين والأشرار، ويتذكر أن وبال وشهدت به التجربة والاعتبار.

ثم يتذكر فوائد ضد المكر ومحامده، أعني استنباط ما يوجب النصيحة والخيرية للمسلمين وموافقة ظاهره لباطنه في أفعاله وأقواله.

وبعد ذلك لو كان عاقلا مشفقا على نفسه لاجتنب عنه كل الاجتناب، وينبغي أن يقدم التروي في كل فعل يصدر عنه لئلا يكون له فيه مكر وحيلة، وإذا عثر على فعل يتضمنه فليتركه معاتبا لنفسه، وإذا تكرر منه ذلك نزول عن نفسه أصول المكر وفروعه بالكلية بعون الله وتوفيقه.

التهور

كما علم، وهو من طرف الإفراط: أي الإقدام على ما لا ينبغي والخوض في ما يمنعه العقل والشرع من المهالك والمخاوف، ولا ريب في أنه من المهلكات في الدنيا والآخرة.

ويدل على ذمه كل ما ورد في وجوب محافظة النفس وفي المنع عن إلقائها في المهالك، كقوله تعالى:

(وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)[1]

وغير ذلك من الآيات والأخبار، والحق أن من لا يحافظ نفسه عما يحكم العقل بلزوم المحافظة عنه فهو غير خال عن شائبة من الجنون، وكيف يستحق اسم العقل من ألقى نفسه من الجبال الشاهقة ولم يبال بالسيوف الشاهرة، أو وقع في الشطوط الغامرة الجارية ولم يحذر من السباع الضارية.

كيف ومن ألقى نفسه فيما يظن به العطب، فهلك، كان قاتل نفسه بحكم الشريعة، وهو يوجب الهلاكة الأبدية والشقاوة السرمدية.

فيمكن علاجه - بعد تذكر مفاسده في الدنيا والآخرة - أن يقدم التروي في كل فعل يريد الخوض فيه، فإن جوزه العقل والشرع ولم يحكما بالحذر عنه ارتكبه، وإلا تركه ولم يقدم عليه.

وربما أحتاج في معالجته أن يلزم نفسه الحذر والاجتناب عن بعض ما يحكم العقل بعدم الحذر عنه، حتى يقع في طرف التفريط، وإذا علم من نفسه زوال التهور تركه وأخذ بالوسط الذي هو الشجاعة.

الجبن

وهو سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام أو غيره، مع كونها أولى.

والغضب إفراط في تلك الحركة، فله ضدية للغضب باعتبار، وللتهور باعتبار آخر، وعلى الاعتبارين هو في طرف التفريط من المهلكات العظيمة، ويلزمه من الأعراض الذميمة: مهانة نفس، والذلة، وسوء العيش، وطمع الناس فيما يملكه، وقلة ثباته في الأمور، والكسل، وحب الراحة، وهو يوجب الحرمان عن السعادات بأسرها وتمكين الظالمين من الظلم عليه، وتحمله للفضائح في نفسه وأهله، واستماع القبائح من الشتم والقذف، وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار، وتعطيل مقاصده ومهماته، ولذلك ورد في ذمه من الشريعة ما ورد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر».

فعلاجه - بعد تنبيه نفسه عن نقصانها وهلاكها - أن يحرك الدواعي الغضبية فيما يحصل به الجبن، فإن القوة الغضبية موجودة في كل أحد، ولكنها تضعف وتنقص في بعض الناس فيحدث فيهم الجبن، وإذا حركت وهيجت على التواتر تقوى وتزيد، كما أن النار الضعيفة تتوقد وتلتهب بالتحريك المتواتر.

وقد نقل عن الحكماء أنهم يلقون أنفسهم في المخاطرات الشديدة والمخاوف العظيمة دفعا لهذه الرذيلة، ومما ينفع من المعالجات أن يكلف نفسه على المخاصمة مع من يأمن غوائله، تحريكا لقوة الغضب، وإذا وجد من نفسه حصول ملكة الشجاعة فليحافظ نفسه لئلا يتجاوز ويقع في طرف الإفراط.

الشجاعة

قد عرفت أن ضد (البخل والجبن) هو (الشجاعة)، فتذكر مدحها وشرافتها، وكلف نفسك المواظبة على آثارها ولوازمها، حتى يصير ما تكلفته طبعا وملكة، فترتفع عنك آثار الضدين بالكلية، وقد عرفت أن الشجاعة طاعة قوة الغضب للعاقلة في الإقدام على الأمور الهائلة وعدم اضطرابها بالخوض في ما يقتضيه رأيها.

ولا ريب في أنها أشرف الملكات النفسية وأفضل الصفات الكمالية، والفاقد لها بريء عن الفحلية والرجولية، وهو بالحقيقة من النساء دون الرجال، وقد وصف الله خيار الصحابة بها في قوله:

((...أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ...)).

وأمر الله نبيه بها بقوله:

((...وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ...)).

إذ الشدة والغلظة من لوازمها وآثارها، والأخبار مصرحة باتصاف المؤمن بها، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المؤمن:

«نفسه أصلب من الصلد».

وقال الصادق عليه السلام:

«المؤمن أصلب من الجبل إذ الجبل يستفل منه والمؤمن لا يستفل من دينه»[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) جامع السعادات للنراقي: ج١، ص١٤٣.

الأئمة الاثنا عشر

روايات الأئمّة الاثني عشر

بعد إثبات الإمامة والخلافة المباشرة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يأتي دور الكلام على إمامة سائر الأئمة.

إنَّ البحث المكثف حول هذا الموضوع يكون كما يلي: في متناول أيدينا اليوم كتب عديدة لأهل السنة والشيعة تنقل الروايات التي تتحدث صراحة عن خلافة (الإثني عشر إماماً وخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

هذه الأحاديث مروية في أهم كتب أهل السنة، مثل (صحيح البخارى، وصحيح الترمذي، وصحيح مسلم، وصحيح أبي داود، ومسند أحمد) وأمثالها.

في كتاب (منتخب الأثر) مئتان وواحد وسبعون حديثاً بهذا الشأن، معظمها منقول من كتب أهل السنة وسائر المصادر الشيعية.

وكمثال على ذلك نقرأ في (صحيح البخاري) وهو من أشهر كتب أهل السنة، ما يلي: يقول جابر بن سمرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«يكون اثنا عشر أميراً».

ثم قال كلمة لم اسمعها، فقال أبي أنَّه قال:

«كلّهم من قريش».[1]

وقد ورد هذا الحديث في (صحيح مسلم) هكذا: قال جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«لاَ يَزالُ الاْسْلامُ عَزِيزاً الى اثنَي عَشَر خليفَة».

ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال:

«كلّهم من قريش».[2]

وفي (مسند أحمد) عن عبد الله بن مسعود، الصحابي المعروف، أنَّه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن الخلفاء، فقال:

«إثنا عشر كعدة نقباء بني اسرئيل».[3]

محتوى هذه الأحاديث

هذه الأحاديث ـ التي يرى بعضها أنَّ (عزة الاسلام) منوطة (بالاثني عشر خليفة) ويرى بعضها الآخر أنَّ حياة الدين وبقاءه الى يوم القيامة موكولان بهم، وأنَّهم كلهم من قريش، وفي بعضها كلهم من بني هاشم ـ لا تنطبق على أي مذهب سوى المذهب الشيعي، وذلك لأنَّ توجيهها بسيط وواضح بحسب معتقدات أهل التشيع، في الوقت الذي يصل فيه علماء أهل السنة في توجيهها الى طريق مسدود.

هل المقصود هم الخلفاء الأربعة الأول اضافة الى خلفاء بني أمية وبني العباس؟

ونحن نعلم، بالطبع، أنَّه لا الخلفاء الأول كانوا إثني عشر، ولا بانضمام خلفاء بني أُميّة وبني العباس إليهم بلغوا هذا العدد، فإنَّ العدد اثني عشر لا ينطبق على أي منهم.

ثم إنَّ من بني امُيّة خلفاء مثل (يزيد) ومن بنى العباس مثل (المنصور الدّوانيقي) و (هارون الرشيد)، ممن لا يشك أحد فيما ارتكبوه من جرائم وظلم وطغيان، فلا يمكن بأي حال من الأحوال عدّهم خلفاء للنبي صلى الله عليه وآله ومدعاة لعزة الاسلام ورفعته مهما تساهلنا في تبسيط الموازين.

وإذا تجاوزنا عن كل ذلك، فإننا لن نجد العدد اثني عشر يتمثل في أي مجموعة منهم إلا في أئمّة الشيعة الإثني عشر.

يحسن بنا هنا أنْ نترك الكلام لأحد علماء السنة المعروفين ليشرح لنا الموضوع.

يقول سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي في كتابه (ينابيع المودة):

(قال بعض المحققين إنَّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله وسلم اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أن مراد رسول الله صلى الله

عليه وآله من حديثه هذا الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلاّ عمر بن عبد العزيز، ولكونهم من غير بني هاشم لأنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«كلهم من بني هاشم».

في رواية عبد الملك عن جابر وإخفاء صوته صلى الله عليه وآله وسلم في هذا القول يرجح هذه الرواية لأنَّهم لا يحسنون خلافة بني هاشم ولا يمكن أنْ يحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم الآية:

((...قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ...)).[٤]

وحديث الكساء فلابدّ من أنْ يحمل هذا الحديث على الأئمّة الاثني عشر من أهل بيته وعترته صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله وكان علومهم عن آبائهم متصلاً بجدّهم صلى الله عليه وآله وسلم وبالوراثة واللدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيد هذا المعنى أي أنَّ مراد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم الأئمّة الاثنا عشر من أهل بيته عليهم السلام ويشهد له ويرجحه حديث الثّقلين والاحاديث المتكررة المذكورة في كتب أهل الحديث.

ويوجد تفسير آخر لهذا الحديث من علمائهم ـ علماء أهل السنة ـ فيقول الرجل: (ربّما يكون المقصود بالاثني عشر خليفة، الخلفاء الأربعة الأول في صدر الإسلام، والباقي سوف يظهرون في المستقبل)!

وعلى هذا فإنَّهم يغفلون التوالي بين هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، والمفهوم من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نقول: ما الذي يدعو إلى أنْ نهمل التفسير الواضح البيّن للحديث، كالتفسير المنسجم في توالي أئمّة الشيعة الاثني عشر، ونلقي بأنفسنا في متاهات لا مخرج لها؟

تعيين الأئمّة بالاسم

ممّا يلفت النظر أنَّ بعض الروايات المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي وصلتنا من علماء أهل السنة، تذكر الأئمة الاثني عشر بالاسم الصريح وتبين صفاتهم وفضائلهم.

يقول الشيخ سليمان القندوزي، العالم السني المعروف في كتابه المذكور (ينابيع المودة): جاء رجل يهودي يدعى نعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من بين الأسئلة التي ألقاها عليه أنَّه سأله عن أوصيائه وخلفائه من بعده، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين يتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين، إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء إثنا عشر»[٥]

وفي الكتاب نفسه، نقلا عن كتاب «المناقب»، حديث آخر جاء فيه ذكر الائمة الاثني عشر بالاسم واللقب، ويشير الى غيبة الامام بالمهدي عجل الله تعالى فرجه وإلى نهضته وأنَّه يملأ الارض عد وقسطا بعد ما ملئت جوراً وظلماً٦.

أمّا الأحاديث الواردة بهذا الخصوص عن طرق الشيعة فكثيرة تفوق حد التواتر، فتأمل!

«من مات ولم يعرف إمامه...».

نقرأ في كتب أهل السنة حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال:

«من مات بغير إمام زمانه مات ميتة جاهلية».[٦]

هذا الحديث نفسه ورد في كتب الشيعة بهذه الصورة:

«من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية».[٧]

يدلّ هذا الحديث دلالة بيّنة على ان الإمام المعصوم موجود في كل عصر وزمان ومن الواجب معرفته، وإنَّ عدم معرفته على درجة من الضرر بحيث إنَّه يضع الإنسان عند تخوم الكفر والجاهلية.

فهل المعنيون بالأئمّة في هذا الحديث هم القائمون على رأس الحكم، من أمثال جنكيزخان وهارون الرشيد والحكام العملاء؟ لاشك أنَّ الجواب يكون بالنفي، وذلك لأن الغالبية العظمى من هؤلاء أناس منحرفون وظالمون.

فلا شك في أنَّ معرفتهم وقبول إمامتهم يرسلان الإنسان إلى (دار البوار) في جهنم.

يتضح من ذلك أن هناك في كل عصر إماماً معصوماً، وأنَّه يجب البحث عنه ومعرفته وقبوله كقائد وهاد.

وإن إثبات إمامة كل إمام يتم بالإضافة إلى الطريق المذكور بطريق النصوص والروايات الواردة عن كل إمام سابق بالنسبة للإمام اللاحق، وكذلك عن طريق معجزاتهم.

فالأمة يجب أن تلتزم الولاء لأهل البيت، إذ لا سبيل لها إلى النجاة بغيرهم.[٨]

---

(١) صحيح البخاري: ج٩، ص١٠٠، كتاب الإمام.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب الناس تبع قريش.
(٣) مسند أحمد: ج١، ص٣٩٨.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٥) ينابيع المودة للقندوزي: ص٤٤٦.
(٦) ينابيع المودة: ص٤٤٢.
(٧) المعجم المفهرس لألفاظ الأحاديث النبوية: ج٦، ص٣٠٢.
(٨) سلسلة أصول الدين للشيخ ناصر مكارم: ص٨١.

الشيخ عباس القمي رحمه الله

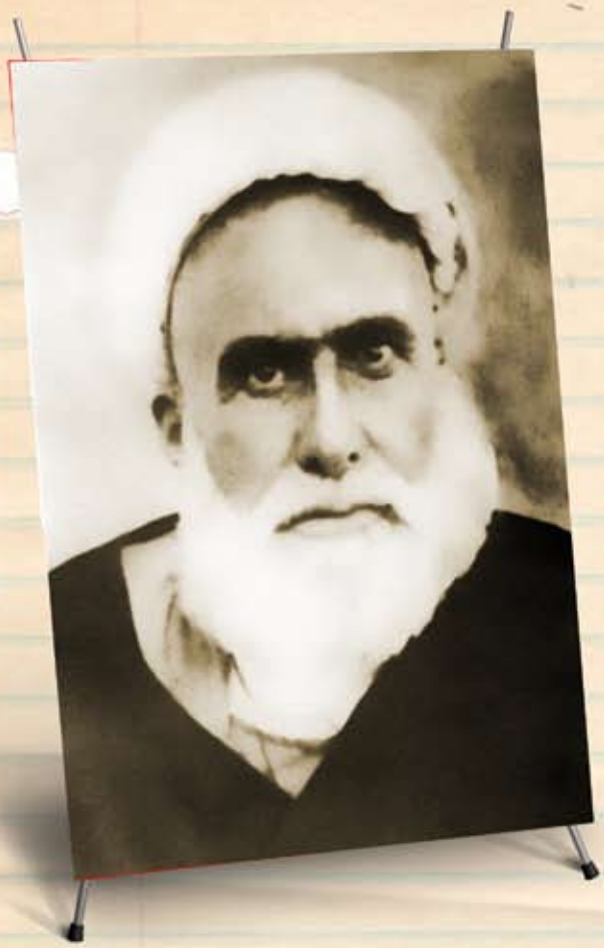

المحدث التقي النقي الصفيّ الشيخ عباس القمي النجفي.

الخطيب الواعظ والعلامة الفذ، عالم من علماء الشيعة وقلم من أقلام الإمامية، كرس حياته لطلب العلم والاجتهاد مخلصاً متفانياً في حب الله فكان من الخالدين، عرفته الأجيال المتتابعة وسيبقى خالداً خلود كتابه العظيم (مفاتيح الجنان).

هو الشيخ عباس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي أصلاً وانتساباً، ثمّ النجفي هجرةً، ثمّ موطناً وخاتمةً.

ولد في سنة ١٢٩٤ هـ في مدينة قم المقدسة وأمضى طفولته وشبابه في هذه المدينة المقدسة.

وهو الخطيب الفاضل الفقيه المؤلف المكثر، محدّث ضابط، تقي، عدل، معهود بالورع والتقى وكان وجيهاً، مقبول الرواية، محمود السيرة، ممدوح السليقة، حسن الطريقة، وجميل العشرة.

دراسته

درس في مدينة قم المقدسة مرحلة المقدمات وكذلك الفقه والأصول.

بالاضافة إلى ذلك فقد درس بعض العلوم الاخرى عند آية الله الميرزا محمد الأرباب.

عند بلوغه السادسة والعشرين من عمره عرفه الناس بالحزم والعزم ففي سنة ١٣١٦هـ هاجر إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته، وأخذ يحضر دروس آية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي، واتصل برجالها وانطلق الى حلقات الدرس، وقد لازم الحجة الميرزا حسين النوري.

كانت له رغبة شديدة بدراسة علوم الحديث، ولإشباع هذه الرغبة لازم العلاّمة المحدّث الشيخ حسين النوري، لينهل من علومه في هذا المجال.

وفي سنة ١٣١٨ هـ تشرّف بحج بيت الله الحرام، وبعد إنتهاء موسم الحج عاد إلى قم المقدسة، وبقي فيها مدة قصيرة ثم عاد إلى النجف الاشرف وبقي ملازماً أستاذه المحدث النوري، وأخذ يساعده في استنساخ كتابه المعروف (مستدرك الوسائل)، فهو خطيب أين ما حل فهو بحق من الوعاظ والمرشدين الاخيار كما ان التأليف اخذ منه مأخذاً حيث ألف باللغتين العربية والفارسية.

في عام ١٣٢٢ هـ وبعد مرور عامين على رحيل استاذه المحدث النوري؛ عاد إلى مدينة قم المقدسة بسبب تدهور وضعه الصحي، وبعد عودته انشغل بالتأليف والترجمة والوعظ والإرشاد.

أساتذته

وهم من جلة الأساتذة في حينها.

١. الشيخ فتح الله الأصفهاني، المعروف بشيخ الشريعة.

٢. الشيخ محمّد كاظم الخراساني، المعروف بالآخوند.

٣. الشيخ محمّد القمّي، المعروف بالأرباب.

٤. السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي.

٥. الشيخ حسين النوري الطبرسي.

٦. الشيخ محمّد تقي الشيرازي.

٧. السيّد مرتضى الكشميري.

٨. الشيخ محمّد طه نجف.

٩. الشيخ حسين الخليلي.

تلمذ المترجم في الفقه والحديث والرجال والدراية على العلاّمة المحدث الجليل رابع المحمدين الثلاثة الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي صاحب كتاب (مستدرك الوسائل) وغيره من المؤلفات الرشيقة مدة مديدة ممتدة ولازم خدمته وكان ألصق الناس إليه وأخصّهم به ولداه وقد استفاد المترجم من مكتبة شيخه المذكور في مدة تلمذته عليه أيضاً استفاد كثيراً، مضافاً إلى استفاضته من شخصه، لما كان عليه المترجم من كثرة الاشتغال والمطالعة وما كان لشيخه المذكور من مكتبة معظمة قيمة جليلة.

تدريسه

لما توفّي شيخه العلاّمة في سنة ١٣٢٠ رجع المترجم إلى إيران ثانياً وأقام في بلدة قم ومشهد الرضا عليه السلام وطهران مدة ممتده وكان في مدة إقامته فيها وجيهاً في العامة، مقبولاً، معروفاً بالخير والصلاح والورع وحسن السيرة وكرامة الأخلاق، حتّى هاجر إلى العراق ثانياً.

وشد الرحال إلى مدينة مشهد المقدسة، بعد أن استقر فيها إلى جوار الروضة الرضوية المطهرة؛ عاد إلى التدوين والتأليف والإرشاد، وتدريس علم الاخلاق، وأقام هناك مدة اثني عشرة سنة، وفي سنة ١٣٤١ هـ شرع في مدينة مشهد المقدسة بإلقاء دروسه في علم الأخلاق بمدرسة الميرزا جعفر للعلوم الدينية؛ استجابة للطلبات التي وجهها إليه طلاب الحوزة العلمية هناك، وشيئاً فشيئاً ازداد عدد الطلاب الذين يحضرون درسه حتى بلغ تعدادهم ألف طالب.

وطلب منه علماء مدينة قم المقدسة العودة إليها، لحاجة آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري إلى أمثاله لتشييد أركان الحوزة العلمية الفتيّة في قم والتدريس بها، فاستجاب لطلبهم وعاد إلى قم المقدّسة.

صفاته وأخلاقه

١ـ اهتمامه بالتأليف:

كان من اخص خصوصياته اهتمامه بالتدوين والتأليف والترجمة، وقد نقل عنه كثيرون هذا الاهتمام، ولنستمع إلى مايقوله ابنه الاكبر حول تعلق والده بالكتابة: عندما كنت طفلا كنت أرى والدي مشغولا بالكتابة من الصباح إلى المساء دون انقطاع، وحتى عندما كنا نسافر إلى خارج المدينة.

٢ـ اهتمامه بالآخرين:

كان الشيخ القمي مراعياً لأصدقائه ورفاقه بشكل منقطع النظير، فعندما كان يرافقهم في السفر فإنه كان يهتم بهم اهتماماً كبيراً، ويحترمهم ويعاملهم بالاخلاق الحسنة.

٣ـ زهده:

كان زاهداً في دنياه، مبتعداً عن مظاهر

الترف، غير متعلق بالمظاهر الدنيوية الزائفة وقد نقلت قصص كثيرة عن زهده ننقل واحدة منها كنموذج: في إحدى المرات جاءته امرأتان من مدينة بومباي الهندية، وأبلغتاه عن رغبتهما بتقديم مبلغ شهري قدره خمس وسبعون روبية، فامتنع الشيخ القمي عن قبول المبلغ، فاعترض عليه أحد أبنائه، فرد عليه بشدة قائلا: (اسكت، إن الاموال التي صرفتها في السابق ولحد الآن لا اعرف كيف اجيب عنها غداً عند الله عزوجل، وعند صاحب العصر والزمان (عجّل الله فرجه)، ولذلك امتنعت عن قبول هذا المبلغ لئلا اعرض نفسي إلى ثقل المسؤولية).

٤ـ تواضعه:

كان يتواضع للجميع وعلى الأخص العلماء منهم، يحدثهم بأخبار أهل البيت عليهم السلام ويتعامل معهم بأخلاق الأئمة المعصومين(عليهم السلام) وكان من عادته عدم الجلوس في صدر المجلس، فهو يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولا يقوم بتفضيل نفسه على الآخرين.

٥ـ نفوذ كلامه:

كان لكلامه وخطاباته رحمه الله تأثيراً في نفوس سامعيه، لأنه عندما كان يدعو الناس إلى الإلتزام بإحدى العبادات أو خلق من الأخلاق، فكان يُلزم نفسه أولا ثم يدعو الناس إليه، فهو يضع على الدوام نصب عينيه الآية الشريفة:

((كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ)).

٦ـ عبادته:

كان الشيخ عباس القمي متقيداً بالعبادات المستحبة، مثل النوافل اليومية وتلاوة القرآن الكريم وقراءة الأدعية والأذكار عن الائمة (عليهم السلام)، وكذلك إحياء الليل بالعبادة وإقامة صلاة الليل، وفي خصوص ذلك قال ابنه الأكبر: (لا أتذكر أنه في ليلة ما تأخر في النهوض للعبادة، حتى في السفر) ومن مميزاته الأخرى: احترامه لكل من ينتسب إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) من (السادة)، عاملا بقوله (صلى الله عليه وآله): «أكرموا أولادي.....».

٧ـ إيمانه وإخلاصه:

كان الشيخ عباس القمي يدرس العلوم الربانية في النجف الاشرف وعند رجوعه الى ايران في أيام العطل كان أبوه (والد الشيخ عباس) يقول له: بني تعال معي الى خطبة الشيخ الفلاني فإن مواضيعه رائعة، فيسأل الشيخ عباس: وما هي المواضيع يا أبتاه، فيبدأ الأب بسرد القصص الإسلامية الرائعة، فعلم الشيخ عباس القمي بأن هذه القصص والعبر مصدرها أحد الكتب التي ألفها هو بنفسه وهي (منازل الآخرة) فأراد ان يقول له يا والدي هذه من كتبي وتأليفي والخطيب يقرأها عليكم، لكنه قال في نفسه (الله يعلم بأني أنا من ألف هذا الكتاب)، فقرر عدم ذكر فضيلة لنفسه وتركها لله ولم يخبر أباه بأنه هو المؤلف للكتاب.

من بركات إيمان وإخلاص الشيخ عباس القمّي قدّس سرّه

نقل المرجع الديني الراحل السيد المرعشي النجفي (قدّس سرّه)، قصة عن الشيخ عباس القمّي (رحمة الله عليه)، فقال: ذات يوم جاء الشيخ عباس القمي إلى منزلنا، وكان يوماً حارّاً، فذهبت لأحضر له كأساً من الزنجبيل، وحينما جئته به، رأيت أنني نسيت أن أضع فيه الملعقة ليخلطه قبل شربه، وحينما ذهبت مرة ثانية، تأخّرت قليلاً، إذ قمت بغسل الملعقة التي كانت متسخة ولم يكن لدينا غيرها، وحينما عدت إليه رأيته يخلط الشراب بإصبعه، فبادرني إلى القول: لا تظنني على عجلة لشرب الكأس، ولكنني تذكّرت بأنني أكتب وأنقل روايات وأحاديث الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم)، وظننت أن تكون البركة بإصبعي فيرتفع بها ما أشعر من الحمى، وأضاف السيد المرعشي النجفي، وبعد هنيئة وضع الشيخ عباس القمّي يده على الأخرى وقال لي: لقد انقطعت الحمى! فإن الإيمان والإخلاص أمران مهمان للغاية، ولهما تأثيراتهما الكثيرة في الحياة الدنيا،

٨ـ إجازاته:

حاز على إجازة بالرواية من بعض المشايخ، ومنح إجازة برواية الحديث من العلماء الذين عاشوا في الخمسين سنة الأخيرة، منهم: الإمام الخميني، وآية الله العظمى السيد المرعشي وآية الله العظمى السيد الميلاني قدس الله سرهم.

وبعد المجزرة التي أحدثها رضا خان في مسجد (كوهرشاد) في مشهد المقدسة، وما ترتب عليها من إبعاد آية الله العظمى السيد حسين القمي قدس سره إلى العراق صمّم المحدث القمي على الهجرة إلى النجف الأشرف، وبقي فيها إلى آخر عمره الشريف.

٩ـ ورعه:

ويروى أنه استأجر ذات يوم حماراً ليزور أحد أصحابه وعندما تقابل مع صديقه، سلمه الصديق كتاباً قد استعاره من الشيخ فرجع الشيخ الى بيته ماشياً دون ان يركب الحمار، وعندما سأله صاحب الحمار عن السبب قال: لأني استأجرته منك بمفردي ولم اتفق معك على حمل شيء آخر عليه!

وكان من خصوصيات المرحوم الشيخ عباس القمّي أنه عاش طيلة عمره الشريف مجاوراً لمراقد المعصومين الأربعة عشر صلوات الله وسلامه عليهم، الأمر الذي لم يتسنّ لغيره من الصالحين.

سبب إشتهار كتاب (مفاتيح الجنان)

فالمرحوم الشيخ عباس القمّي كانت له مؤلّفات كثيرة جداً، ولكن الأشهر من بينها كان كتابه المسمّى «مفاتيح الجنان». وقد سُئل قدّس سره الشريف عن السبب وراء شهرة هذا الكتاب من بين سائر الكتب، فأجاب:

لقد صرفت لدى تأليفي هذا الكتاب أقلّ الوقت، ولكنني أهديت ثوابه مخلصاً إلى السيدة الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

أقوال العلماء فيه

قال فيه مؤلف كتاب معارف الرجال: (كان آية الله الشيخ عباس القمي عالماً عاملاً، وثقة عدلاً متتبعاً، وبحّاثة عصره، أميناً مهذباً، زاهداً عابداً، صاحب المؤلفات المفيدة..).

وقال فيه المدرس التبريزي في كتابه ريحانة الادب :(الشيخ عباس بن محمد رضا بن ابي القاسم من افاضل علماء عصرنا الحاضر كان عالماً فاضلاً كاملا محدثا متتبعا ماهرا ..).

من كراماته

من كراماته كانت قدرته على الشفاء بوضع اليد و كان الشيخ القمي يُرجع تلك الرحمة الإلهية عنده إلى انشغال تلك اليد بكتابة روايات أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

لبّى الشيخ القمي نداء ربه بتاريخ ٢٣ / ذي الحجة الحرام / ١٣٥٩ هـ في النجف الأشرف بعد أن قضى خمسة وستين عاماً من عمره الشريف في البر والتقوى وخدمة الشريعة الغرّاء.

وصلى عليه آية الله العظمى السيد أبو الحسن الاصفهاني رضوان الله عليه، وبعد أن شيع تشييعاً مهيباً حضره علماء وفضلاء الحوزة وشرائح مختلفة من أهالي مدينة النجف الأشرف، تم دفنه إلى جوار أستاذه في إيوان مقبرة العلاّمة المحدث النوري في الصحن الشريف للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف.

وأرخ وفاته الشيخ محمد السماوي بقوله الشريف:

والشيخ عباس الرضي القمي
قد جاء والنوري نبي الخم
الف والتاليف در منتظم
فارخوا (بفقد عباس ختم)

ولا تزال مؤلفاته يتداولها الناس.

المصدر: مرآة الشرق للشيخ الخوئي: ج٢، ص٩٨١.

طبق من فاكهة الجنة كرامة لسيد الشهداء عليه السلام

روى جمع من الصحابة: أن (النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل دار فاطمة عليها السلام وجلس مع علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وفاطمة متحيّرة ما تدري كيف تصنع، ثمّ إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى السّماء ساعة فإذا بجرائيل عليه السلام قد نزل، وقال: يا محمد العليّ الأعلى يقرئك السلام ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول لك: قل لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: أي شيء يشتهون من فواكه الجنة؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ ويا فاطمة ويا حسن ويا حسين إنّ ربّ العزة عَلِم أنّكم جياع فأيّ شيء تشتهون من فواكه الجنة فأمسكوا عن الكلام ولم يردوا جواباً حياءً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الحسين عليه السلام: عن إذن منك يا أباه يا أمير المؤمنين وعن إذن منك يا أمّاه يا سيّدة نساء العالمين وعن إذن منك يا أخاه الحسن الزكي، أختار لكم شيئاً من فواكه الجنة، فقالوا جميعاً: قل يا حسين ما شئت فقد رضينا بما تختاره لنا، فقال: يا رسول الله قل لجبرائيل عليه السلام إنّا نشتهي رطباً جنيّاً في غير أوانه.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قد علم الله ذلك ثم قال: يا فاطمة قومي ادخلي البيت فاحضري لنا ما فيه، فدخلت فرأت فيه طبقاً من البلور، مغطّىً بمنديل من السندس الأخضر وفيه رطب جني في غير أوانه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة وهي حاملة المائدة أنّى لك هذا، قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، كما قالت مريم بنت عمران.

فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتناوله منها، وقدّمه بين أيديهم ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم أخذ رطبة فوضعها في فم الحسين عليه السلام، فقال: هنيئاً مريئاً لك يا حسين.

ثم أخذ رطبة ثانية فوضعها في فم الحسن عليه السلام فقال: هنيئاً مريئاً لك يا حسن.

ثم أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة الزهراء عليها السلام وقال: هنيئاً مريئاً لك يا فاطمة الزهراء

ثم أخذ رطبة رابعة، فوضعها في فم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال: هنيئاً مريئاً لك يا علي وتناول رطبة أخرى ورطبة أخرى والنبي يقول: هنيئاً مريئاً يا علي ثم وثب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائماً، ثم جلس، ثم أكلوا جميعاً من ذلك الرطب، فلمّا اكتفوا وشبعوا ارتفعت المائدة إلى السماء بإذن الله تعالى.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبت لقد رأيت اليوم منك عجباً! فقال: يا فاطمة أما الرطبة الأولى التي وضعتها في فم الحسين وقلت له: هنيئاً مريئاً لك يا حسين، فإني سمعت ميكائيل وإسرافيل، يقولان: هنيئاً لك يا حسين فقلت أيضاً موافقاً لهما بالقول: هنيئاً لك يا حسين.

ثم أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسين، سمعت جبرائيل وميكائيل يقولان: هنيئاً لك يا حسن، فقلت أنا موافقاً لهما في القول: هنيئاً لك يا حسن.

ثم أخذت الثالثة، فوضعتها في فمك يا فاطمة، فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان، وهنّ يقلن: هنيئاً لك يا فاطمة، فقلت موافقاً لهنّ بالقول: هنيئاً لك يا فاطمة.

ولمّا أخذت الرطبة الرابعة فوضعتها في فم علي بن أبي طالب عليه السلام سمعت النداء من الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئاً مريئاً لك يا علي فقلت: موافقاً لقول الله تعالى، ثم ناولت علياً رطبة أخرى ثم ناولته رطبة أخرى وأنا أسمع صوت الحقّ سبحانه وتعالى يقول: هنيئاً مريئاً لك يا علي.

ثم قمت إجلالاً لربّ العزة جل جلاله فسمعته يقول: يا محمد وعزّتي وجلالي لو ناولت علياً من هذه الساعة إلى يوم القيامة رطبة رطبة لقلت له: هنيئاً مريئاً بغير انقطاع).[1]

فيا أخواني فهذا هو الشرف الرفيع، والفضل المنيع وقد نظم بعضهم بهذا المعنى شعراً:

الله شرّف أحمداً ووصيَّهُ
والطيبينَ سلالةَ الأطهار
جاء النبي لفاطم ضيفاً لها
والبيت خال من عطا الزوّار
والطهر والحسنان كانوا حضرا
وإذا بجبريل من الجبّار
ما يشتهون أتاهُمُ من ربّهم
رُطبٌ جنيٌّ ما يُرى بديارِ

---

(١) معاجز الإمام الحسين عليه السلام للسيد هاشم البحراني: ص٨٠ ـ ٨٢، برقم ٨٦.

الحلقة الثالثة عشرة

على مائدة الصحيفة السجادية

الدعاء الأول

(....عَدْلاً مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ وَتَظاهَرَتْ آلاؤُهُ،.....).

العدل: الحكم بالحق وهو خلاف الجور.

وتقدّست: أي تنزهت وتطهرت أسماؤه الحسنى عن النقص والعيب.

وتظاهرت: أي تبينت ظاهرة منتشرة.

والآلاء: النعم، وقد ذكرت في القرآن أربعاً وثلاثين مرة، إن الله عزّ وجل يحكم بين عباده بالحق تنزّهت صفاته وتوالت واضحة نعمه وآياته وهو خير الحاكمين.(١)

وقيل: (عدلاً) إما مفعول له أو تمييز، ونقل عن شيخنا البهائي قدس سره، أنه قال بالنصب على الحال وهو كما ترى، لأن الظرف يمنعه.

(تقدست أسماؤه): أي تنزّهت عن أن يجوز إطلاقها على غيره كما أطلقوها على آلهتهم، ولا يحتاج إلى تأويله بالمسمى أو القول بإقحامه، كما قيل زعماً منه أنه المقصود إنما هو تنزه الذات وتقدسها، لأن تنزيه الاسم مستلزم لتنزيهها كما لا يخفى.

(وتظاهرت آلاؤه): تتابعت نعماؤه، وقيل الآلاء النعم الباطنة والنعماء النعم الظاهرة.(٢)

وقيل: (العدل - خلاف الجور -: وضع كل شيء موضعه كما ينبغي وعلى ما ينبغي، والظلم على خلافه)، وروى الصدوق في التوحيد عن الإمام الصادق عليه السلام حين سئل عن التوحيد والعدل، فقال:

«التوحيد أن لا تجوّز على ربّك ما جاز عليك، وأمّا العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه».

وفي حديث آخر قال لهشام بن الحكم:

«ألا أعطيك جملةً في العدل والتوحيد؟».

قال: بلى - جُعلت فداك! -، قال:

«من العدل أن لا تتّهمه، ومن التوحيد أن لا تتوهّمه».

و(تقدّست أسماؤه) أي: تطهّرت وتنزّهت عن المعايب المادّية والنقائص الإمكانية، لأن الاسم عبارة عن الذات مع الصفة، والتكثر فيه باعتبار تكثر النعوت وتكثر النعوت من جهة شؤون الآلهة.(٣)

وقيل: (عدلاً منه) تعالى، إذ العدل أن يكون الجزاء شبيه العمل ومن جنسه، (تقدست أسماؤه) أي تنزهت صفاته عن النقائص، فإن المراد بالأسماء الصفات، إذ الاسم بمعنى العلامة، والصفة علامة (وتظاهرت) أي صارت بعضها ظهر بعض وفي عقبها، (آلاؤه) جمع آل بمعنى: النعمة.(٤)

وقيل أيضا: (عدلا منه) صفة لمحذوف، تقديره: يجزي جزاءً عدلاً، أي: كلتا الحكمتين - وهما جزاء المحسنين بالإحسان ومكافأة المسيئين بالعذاب - عدل من الله تعالى، (تقدّست) أي: تنزّهت عن شوب النقائص (أسماؤه)، فالمراد من الاسم إما المسمّى أو المبالغة أو التحقيق، (وتظاهرت آلاؤه) أي: تكاثرت نعماؤه.

((...وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ...)).(٥)

وجاء في كتاب رياض السالكين: العدل عرّف بأنه الأمر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط، وانتصابه على المصدر أي: جزاء عدلاً، أو على المفعول له أي: لأجل العدل.

وتقدست: أي تطهرت وتنزهت أسماؤه عن العيوب والنقائص فما ظنّك بذاته العليا، أو تنزهت عن الإلحاد فيها بالتأويلات الزائغة وعن إطلاقها على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه، أو هي مقحمة، وفائدة هذا التوسيط سلوك سبيل الكناية كما يقال: (ساحة فلان بريئة عن المثالب). قوله تظاهرت: أي ظهرت بمعنى تبين لكل أحد، وتفاعل قد يأتي بمعنى فعل نحو تجاوز بمعنى جاز، وتباعد بمعنى بعد، ويحتمل أن يكون مطاوعاً ظاهراً بمعنى طابق.

والآلاء: النعم واحدها ألي كضبياء وألي كنحي، وألو كدلو، ,ألى كفتى وإلى كحمى، وإنما أبدلت الهزة التي هي فاء في الجمع إستثقالا لاجتماع همزتين.(٦)

وقيل: (أي نعمة، وأشار الإمام عليه السلام بكلمة العدل إلى أنه لا يستقيم في عدل الله أن يستوي مصير المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، فيفلت المسيء من العقاب، ويحرم المحسن من الثواب.

قال أفلاطون: لو لم يكن معاد نرجو في الخيرات لكانت الدنيا فرصة الأشرار، وكان القرد أفضل من الإنسان.(٧)

كما قال شاعر أهل البيت عليهم السلام المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي:

وهو حكمٌ عدلٌ من الله ماض
في رقاب العباد دونَ رخاء
قُدِّسَت منه أكرم الأسماء
وتجلّت ظواهرُ الآلاء(٨)

---

(١) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص١٠.

(٢) نور الأبصار في شرح الصحيفة للسيد نعمة الله الجزائري: ص٣٣.

(٣) لوامع الأنوار العرشية للسيد الحسيني الشيرازي: ج١، ص٣٨٣.

(٤) شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد الشيرازي: ص١٨.

(٥) رياض العارفين لمحمد دارابي: ص٢٧.

(٦) رياض السالكين للسيد الحسيني المدني: ج١، ص٢٩٩.

(٧) في ظلال الصحيفة السجادية للشيخ محمد جواد مغنية: ص٥٣.

(٨) الصحيفة السجادية بنظم شاعر أهل البيت عليهم السلام عبد المنعم الفرطوسي: ص٢١.

طاعة الوالدين

والمراد به تنفيذ جميع أوامر ومطالب الأب والأم التي بتركها يتأذّيان، باستثناء ما كان فيه معصية لله تعالى إذ طاعة الله مقدّمة على طاعة الوالدين، ويمكن حصر الموارد بالتقسيم التالي لأفعال الإنسان إلى واجبات ومحرّمات ومستحبّات ومكروهات ومباحات:

ففي موارد الواجبات: كأن يأمر الوالدان الأولاد بالصلاة والصوم والجهاد والأمر بالمعروف أو ترك معصية كأمرهما بترك الكذب والغيبة وسوء الظنّ وظلم الآخرين وأذيّتهم، فمن الواضح في مثل هذه الموارد يجب طاعة الوالدين وتنفيذ أوامرهما، إضافة إلى وجوب ذلك ابتداءً على كلّ مكلّف من قبل الله.

وفي موارد المحرّمات: كأن يأمر الوالدان أولادهم بالسرقة والظلم وضرب الزوجة وإهمال تربية الأولاد وإفشاء الفساد في المجتمع، ففي مثل هذه الموارد تسقط طاعة الوالدين وتقدّم طاعة الله الآمرة بترك هذه المحرّمات والابتعاد عنها.

وفي موارد المستحبّات: كأن يأمر الوالدان أولادهم بدعاء كميل وزيارة الحسين عليه السلام أو إحياء ليالي العبادة بقربهما أو بعض الأمور المستحبّة شرعاً، فهنا ينقلب المستحب إلى واجب ويجب إطاعة الوالدين فيه إذا كانا يتأذّيان بتركه، وكذا الأمر من الوالدين بترك المكروهات.

وفي موارد المكروهات: كأن يأمر الوالدان أولادهم بفعل مكروه فيه فائدة للأبوين يتأذيان بتركه، كأمرهم للولد بالأكل معهما وهو على جنابة أو النوم معهما كذلك، فهنا يجب طاعة الوالدين، وإن استطاع رفع المكروه بالوضوء أو التيمّم أو الصدقة أو الاستغفار فهو أفضل.

وفي موارد المباحات: كأن يأمر الوالدان الأولاد بفعل المباحات كالعمل في الأرض وتنظيم البيت وتنظيف ما تحت الشجر وسقاية المزروعات وما شابه، ففي مثل ذلك يجب طاعة الوالدين رعاية لحقوقهما فيما إذا كانا يتأذّيان بترك الطاعة.

هذا في موارد الأمر بالأمور الخمسة، وكذلك في حالة النهي عن الأمور الخمسة، فإذا نهى الوالدان عن فعل الأمر الواجب فلا يجب الطاعة، وإذا نهيا عن فعل المحرّمات فتجب الطاعة، وكذلك تجب الطاعة إذا نهيا عن المكروه والمستحبّ والمباح.

هذا وقد تنقلب بعض المباحات والمستحبّات إلى واجبات فيتعامل معها كواجبات، كصلاة الجماعة أو لبس العباءة المستحبّة وكدعاء كميل وزيارة الحسين عليه السلام وحضور الدروس الثقافيّة، فإنّما إذا انقلب إلى واجب ونهى عنها الوالدان، فإنّه لا يجب على الأولاد طاعتهما، وانقلاب استحباب الصلاة في المسجد إلى الوجوب أو وجوب العبادة فيما إذا كان تركهما فيه تضعيف للتشيّع أو كان في لبسها مصلحة الإسلام، أو كان بهما تقوية ونصرة للدين.

وكذا إذا أصبحت زيارة الحسين عليه السلام شعاراً للدفاع عن المظلومين أو نصرة لقضيّة أهل البيت عليهم السلام وهكذا في حضور الدروس والمحاضرات الثقافية، فإنّها تجب إذا كان فيها دعم للإسلام أو تقوية للدين، أو كان فيها تعليم أمور يبتلى بها الناس كتعليم الصلاة وشكوكها والوضوء، وأحكام طاعة الوالدين وطاعة الزوج وما يتعلّق بأحكام التجارة للتجّار وأحكام البنوك للعاملين فيها أو المستفيدين منها، وبقيّة الأمور الواجبة.

وقد تختلف الأحكام والموارد من مكان ومن مجتمع إلى مجتمع، فيتّبع كلّ مورد بحسبه، ثمّ هناك تفصيلات في طاعة الوالدين لا بأس بالتعرّض لها لكونها محل ابتلاء الكثير من الناس:

منها ما إذا تعارضت طاعة الوالدين مع مستقبل الولد، كالذهاب للجامعات الغربيّة مثلاً أو اختلف الأب مع ابنه في نوع الاختصاص، أو نوع العمل أو التجارة أو المهنة، فهل تسقط طاعة الوالدين؟

قال الفقهاء: (لا تجوز مخالفتهما في أمر يكون أنفع له ولا يضرّ بحاله ديناً أو دنيا، أو يخرج عن ذي أمثاله، وما يتعارض منه، ولا يليق بحاله بحيث يذمّه العقلاء ويعترفون أنّ الحقّ لا يكون كذلك، ولا حاجة له في ذلك ولا ضرر عليه بتركه).

وقالوا: يجب عليه طاعتهما في كلّ فعل، وإن كان شبهة فلو أمراه بالأكل معهما في مال يعتقده شبهة أكل لأنّ طاعتهما واجبة وترك الشبهة مستحبة.

إذا:

فيما إذا اختار الابن مهنة الزراعة واختار الوالدان مهنة التجارة فإذا كانت مهنة التجارة أنفع له وكانت تناسب حاله ولا تسبّب له ضرراً وجب طاعة الوالدين في ذلك.

نعم إذا أضرّت بحاله مهنة الوالدين أو كانت خلاف أمثاله كما لو كان من المتعلّمين والمثقّفين وطلب الوالدان منه العمل في مهنة رعاية الغنم، فلا يجب طاعتهما، ويستثنى من ذلك ما إذا كان في ترك رعاية الغنم أذيّة لهما، أو ضرراً عليه، كما إذا لم يجد عملاً آخر وكان بحاجة للنفقة.

وهكذا في اختيار نوع اختصاص الابن في الجامعات، فإذا أمر الوالدان بنوع معيّن يناسب حاله وأنفع له وجب الطاعة.

نعم عادة يختار الابن ما يناسب حاله وكان نفعه أكبر، خاصّة في هذه الأيام التي أصبح فيها الشباب بوعي كبير وثقافة إجتماعية مناسبة، لذا ينبغي للآباء مراعاة حال الأبناء في ذلك وأن يدرسوا وضع الأبناء قبل أن يتّخذوا قرارهم فيقعوا في جدال مع الأبناء، قال إمامنا الصادق عليه السلام:

«رحم الله والداً أعان ولده على البرّ».

كما ينبغي أيضاً للأبناء مشاورة الآباء في مستقبلهم وشأنهم العلمي والاجتماعي، لما يملك الوالدان من الخبرة الاجتماعية عادةً.

نعم أحياناً ينصح الآباء الأبناء بمهنة معيّنة أو باختصاص محدّد، لا على وجه اللزوم بل إرشاداً وتوعيةً، فهنا لا تجب الطاعة لعدم صدق العقوق.

ومنها ما إذا تعارضت طاعة الوالدين أو رغبتهما مع جهاد الأبناء ودفاعهم عن الإسلام، وهل يشمل ذلك مقدّمات الجهاد من تدريب ونحوه؟ وهل يشمل الدفاع الثقافي والاقتصادي؟

قال الفقهاء: لهما منعه من الجهاد مع عدم التعيّن لما صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لمن سأله البيعة

على الهجرة والجهاد:

«فارجع إلى والديكَ فأحسن صحبتهما».

فإذا تعيّن الجهاد على شخص معيّن كما لو كان لديه خبرة في القتال يفقدها أقرانه، أو كان الاحتياج له ولأقرانه في مهمّة معيّنة، أو كان وحيداً في منطقته، أو كان هو الدليل الوحيد لمنطقة عسكريّة أو كان به خصوصيّة جعلت وجوده أنفع من غيره، ففي جميع ذلك ليس للوالدين منعه، وإذا منعاه لا يجب الطاعة، نعم يجب حلّ المشكلة بأسلوب مناسب وهادئ كي لا يقع في محرّم آخر، إذ سقوط طاعتهما لا يعني سقوط بقيّة الواجبات تجاه والديه من البرّ والاحترام والتقدير والشكر.

ولا ينبغي الغفلة عن أن تعيّن الجهاد يقدر بقدره، فإذا وجب عليه الجهاد مدّة معيّنة كستة أشهر، فإنّه بعد هذه المدّة يجب طاعة الوالدين في ذلك إذا تأذّيا بخروجه.

أمّا مقدّمات الجهاد: فتارة يكون الوطن الذي يعيش فيه المسلمون وطناً آمناً لا يوجد أيّ احتمال لأنّ يهدّدهم عدوّ أو يأتي إلى بيوتهم لسرقتهم أو الاعتداء على أعراضهم وممتلكاتهم أحد، فإذا كان الوضع كذلك لا يجب على المسلمين تهيئة مقدّمات الجهاد كالتدريب وشراء السلاح وما شابه، وهذا الوضع لا نكاد نعرفه ولا يمكن وجوده إلاّ لمن كان يعيش تحت الماء في قعر البحر أو في القطب المنجمد.

أمّا إذا كان الوطن فيه احتمال تهديد العدوّ أو المفسدين في الأرض أو كان بينهم أشرار يعبثون بأموال المسلمين أو بوطنهم وممتلكاتهم، كما هو حال الوطن الإسلامي والعربي بل العالم أجمع، فيجب على كلّ مسلم فيه مؤهلات الجهاد أن يعدّ نفسه عسكريّاً للجهاد في سبيل الله أو الدفاع عن نفسه وماله وعياله.

لا يقال: هو واجب كفائي يجب على البعض، لأنّا نقول: هو كذلك إلاّ أنّ الواجب الكفائي حقيقته أنّه إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، وإذا لم يقم به أحد أثم الجميع، وهذا في مثل الجهاد يختلف، إذ لو هاجم العدوّ وتقاعس البعض عن قتاله وصدّه، فهل ننتظر حتّى يذهب البعض الآخر ليتدرّب ويهيئ نفسه عسكرياً ليأتي بعد سنة أو أكثر ويصدّ ذلك العدوّ ويدافع عن وطنه وعرضه وماله؟!

وإذا داهم السارق أو القاتل بيوت الناس ماذا يفعلون وهم عزّل لا حيلة لهم ولا قوّة؟ وعليه فيجب أن يكون في كلّ بلدٍ فئة آمنوا بربّهم يتدرّبون ويهيّئون أنفسهم للدفاع عن وطنهم وأعراضهم وآبائهم وأمّهاتهم، وإذا منع الآباء عن ذلك لا يجب طاعتهم حفاظاً على الوطن والعرض والآباء أنفسهم.

على أنّ تدريب الأبناء ـ في الوطن المهدّد ـ فيه محافظة على الآباء ورفع الضرّر عنهم حتّى يعيشوا عيشة آمنة بكرامة وعزّة، فيكون في بعض الأحيان منع الأب لابنه عن التدريب بمثابة منعه عن رفع الأذى عن والده نفسه ووقوعه في الخطر المقطوع أو المحتمل، وهنا يجب على الابن من باب المحافظة على والديه وعرضه أن يتهيّأ نفسيّاً وعسكريّاً للدفاع والحفاظ عليهم.

أمّا الدفاع عن الثقافة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي: فإنّ مهمّة الدفاع عن الإسلام والمسلمين واجب الآباء والأبناء معاً، ومعنى الدفاع عن الإسلام هو الدفاع عن ثقافتهم واقتصادهم وعقائدهم وآدابهم وكلّ المفاهيم التي منها يتكوّن الإسلام، وعليه فالدفاع عن الثقافة والاقتصاد الإسلامي واجب كفائي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين وإلاّ أثموا جميعاً، نعم تهيئة مقدّماته يجب أن يتمّ لكلّ إنسان أباً كان أو أمّاً أو إبناً وبنتاً، لكي يكونوا جاهزين إذا تقاعس البعض عن الدفاع عن الإسلام.

وينبغي على الآباء توعية الأبناء وحثّهم على الدفاع عن الإسلام ومفاهيمه، وفسح المجال لهم ليتعلّموا حقيقة هذه المفاهيم وكيفيّة الدفاع عنها وحمايتها من أيدي الاستعمار.

خاصّة في هذه الأيام التي يهدّد الاستعمار الثقافة الإسلامية حيث قام بزرع ثقافته في مجتمعاتنا، وأصبحنا نلتزم بثقافته وعاداته وتخلّينا عن ثقافة القرآن وعترة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أصبح شبابنا يتشبّهون بلباس الغرب المستكبر وشكله، وأصبحت فتياتنا تقلّد الثقافة الشيطانية لتتخلى عن عفّتها وشرفها، وهكذا مجتمعنا أصبح ينبهر بالعادات والصناعات الغربيّة ويستهين بآداب الإسلام وعاداته، وسوف نتعرّض لذلك مفصّلاً.

ومنها ما إذا تعارضت الطاعة مع الصلاة الواجبة أم المستحبّة؟

قال الفقهاء: لو دعواه إلى فعل وقد حضرت الصلاة فليؤخّر الصلاة وليطعهما، ولهما منعه في بعض الأحيان عن صلاة الجماعة فيما إذا كان فيه مشقّة عليهما كالسعي في ظلمة الليل إلى صلاة العشاء والصبح.

هذا في الصلاة الواجبة.

أمّا المستحبّة فتقدم طاعتهما ظاهر، بل لو دعواه في أثناء الصلاة المستحبّة قطعها، لما صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث جريح الذي نادته أمّه وهو يصلّي فقال:

«اللهم أمي وصلاتي».

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يموت حتّى ينظر في وجوه المومسات، وفعلاً فقد ادّعت عليه بغيّة بولد فقام الملك بحرق صومعته وإهانته، ثمّ بعدها ظهرت براءته».

وفي حديث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كان جريح فقيهاً لعلم أن إجابة أمّه أفضل من صلاته».

ومنها إن منعاه عن الحجّ أو الصوم المستحبّ وترك اليمين والعهد والنذر، قال الفقهاء: وأمّا سفر التجارة، فإن كان قصيراً لم يمنع منه وإن كان طويلاً وفيه خوف اشترط إذنهما، وإلاّ احتمل ذلك تحرّزاً من تأذّيهما، ولأنّ لهما منعه من حجّة التطوّع مع أنّه عبادة، فيكون منعهما في المباح أولى.

ومن الحقوق ترك الصوم المستحب إلاّ بإذن الأب وكذا ترك اليمين والعهد.

ومنها فيما إذا تعرّضا لأذى أو تهدّدهما خطر.

قال الفقهاء: يجب كفّ الأذى عنهما وإن كان قليلاً، فلا يدعه يصل إليهما ويمنع الغير من إيصاله إليهما.

كالضرّر الحاصل من البناء القديم جدّاً الذي قد يسبّب رطوبة مضرّة، أو وصول حيوانات مخيفة، أو كوجوب أخذهم إلى الطبيب عند احتمال وجود مرض، أو مراقبة حالتهم الصحيّة وإجراء فحوصات طبيّة لهم بين فترة وأخرى خاصّة إذا تقدّموا في السنّ، ومنها حماية تجارتهم وأموالهم، والخ.

المصدر: فقه الأسرة وآدابها للسيد علي عاشور: ص٢٨ ـ ٣٣.

اتّق شر مَن أحسنت إليه

من السخاء أن تعطي المال للمحتاجين، ولكن إذا اقترن بهذه الصفة الإخلاص لله تعالى أيضاً فأخذ المتحلّي بهما يعطي المال ويوزّع وهو يصرّ على أن لا يعرف عنه أحد وخاصة المحتاج الذي يستلم المال، مثل هذا الإنسان السخيّ ماذا تطلق عليه من مفردات الأخلاق الحميدة؟ نعم هكذا كان آية الله الحاج الشيخ حسن علي الطهراني في نبله وعطائه.

وهو جدّ العالم الورع سماحة آية الله الحاج الشيخ حسن علي مروارید من طرف أمّه.

ينقل سماحته في منزله بمشهد المقدسة أن أموالاً كانت تُجبى إلى المرحوم جدّه فيقوم بإيصالها إلى المحتاجين عبر وسطاء محيطين به من غير التظاهر بذلك، حتى أن بعض أولئك المحتاجين لما كان يستلم المال يقول للوسيط ـ وهو لا يعلم أنه من الشيخ ـ جزاك الله خيراً ولا جزى الشيخ الطهراني!

يذكر أحد هؤلاء الوسطاء واسمه (صدر الحفّاظ) وكان من الرجال المحترمين في مشهد إنه ذات مرة أعطاني سماحة الشيخ الطهراني مالاً لشخص، وكالعادة أكّد أن لا أبوح له باسم المحسن، وأنا لما سلّمت الرجل ذلك المبلغ شكرني ثم أخذ يعاتب الشيخ ويقول: عنده مال كثير ولكنه لا يوصلني بشيء منه وهو يعرفني جيداً.

لقد كانت هذه الكلمات تزعجني بشدّة وهممتُ أن أدافع عن الشيخ وأخبره بأن هذا المال ليس مني بل هو ممّن تعاتبه، ولكني عملاً بتوصية الشيخ لم أتجاوز حدود الصمت.

ويضيف لي سماحته أيضاً أن المرحوم السيد حسين (فيروزتراش) ذكر بأن الشيخ الطهراني أعطاني ذات مرة (١٥٠) تومان وكان مبلغاً كبيراً في ذلك الزمان ـ قبل ١٠٠ عام ـ وقال خذ هذا إلى منزل في (محلة عيدكاه)، أطرق الباب وحاول أن تدخل على رجل هناك (وهو من المحترمين)، فتُقدّم إليه المبلغ.

وهكذا فعلت وإذا به قد فوجئ قائلاً: عجيب جداً، البارحة انتهى ما لدي من مال ومؤونة وكنت مشتّت البال، ولا أحد يعلم بحالي، لا شك عندي أن مجيئك بهذا المال وفي هذه الساعة من حاجتي الماسّة إليه لطف من الله عزّ وجل، وإني أسأل الله تعالى أن يغفر للشيخ الطهراني فهو أولى منك بأن ينظر إليّ ويتفقد حالي!

لقد تألمتُ من عتابه للشيخ والحال أن الشيخ هو صاحب العطاء، فأردت إخباره بأن المبلغ من الشيخ ولكني تذكرتُ منعه لي عن الإفصاح باسمه.

وذات يوم سأله أحد تلامذته وهو الشيخ رضا الزنجاني رحمه الله: لماذا لا تسمح بالإفصاح باسمك لمن ترسل إليه المال؟

فقال: أولاً أريدهم أن لا يقطعوا ذكرهم وأملهم وطلبهم من الله تعالى فهو الرزّاق الحكيم.

وثانياً: أريدهم أن لا يتوقعوا استمرارية هذه المساعدة، فلربما طرأت عليّ ظروف فتشُحّ الأموال عندي أو يصبح الرجل لا يستحق هذا المال، وحينئذ إذا تعوّدوا وانقطع عنهم سوف لا يكتفوا هذه المرّة بالعتاب فحسب وإنما يشهرون العداء ضدّي.

أما سمعتَ الحديث القائل (إتّق شرّ مَن أحسنتَ إليه)؟!

المصدر: قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين للشيخ البحراني: ص٨٠ ـ ٨١، برقم ٢٠.

النوم وما يحدث فيه

برغم أن الإنسان يقضي حوالي ثلث حياته نائماً، إلا أن الأكثرية لا يعرفون الكثير عن النوم، هناك اعتقاد سائد بأن النوم عبارة عن خمول في وظائف الجسم الجسدية والعقلية يحتاجه الإنسان لتجديد نشاطه، والواقع المثبت علمياً خلاف ذلك تماماً، حيث أنه يحدث خلال النوم العديد من الأنشطة المعقدة على مستوى المخ والجسم بصفة عامة وليس كما يعتقد البعض.

بل على العكس، فإن بعض الوظائف تكون أنشط خلال النوم كما أن بعض الأمراض تحدث خلال النوم فقط وتختفي مع استيقاظ المريض، وتعتبر هذه المعلومات والحقائق العلمية حديثة في عمر الزمن، حيث أن بعض المراجع الطبية لم تتطرق إليها بعد.

ماذا يحدث خلال النوم؟

النوم ليس فقداناً للوعي أو غيبوبة وإنما حالة خاصة يمر بها الإنسان، وتتم خلالها أنشطة معينة، عندما يكون الإنسان مستيقظاً فإن المخ يكون لديه نشاط كهربائي معين، ومع حلول النوم يبدأ هذا النشاط بالتغير ودراسة النوم تساعدنا على تحديد ذلك تحديداً دقيقاً، فالنائم يمر خلال نومه بعدة مراحل من النوم لكل منها دورها.

فهناك المرحلة الأولى والثانية، ويكون النوم خلالهما خفيفاً ويبدآن مع بداية النوم، بعد ذلك تبدأ المرحلة الثالثة والرابعة، أو ما يعرف بالنوم العميق، وهاتان المرحلتان مهمتان لاستعادة الجسم نشاطه، ونقص هاتين المرحلتين من النوم ينتج عنه النوم الخفيف غير المريح والتعب والإجهاد خلال النهار.

وبعد حوالي التسعين دقيقة تبدأ مرحلة الأحلام أو ما يعرف بمرحلة حركة العينين السريعة، وتحدث الأحلام خلال هذه المرحلة، وهذه المرحلة مهمة لاستعادة الذهن نشاطه، والمرور بجميع مراحل النوم يعرف بدورة نوم كاملة، وخلال نوم الإنسان الطبيعي (٦ ــ ٨ ساعات) يمر الإنسان بحوالي ٤ ـ ٦ دورات نوم كاملات.

ما عدد ساعات النوم التي يحتاجها الإنسان الطبيعي؟

يتفاوت عدد ساعات النوم التي يحتاجها الإنسان الطبيعي تفاوتاً كبيراً من شخص إلى آخر، ولكن المؤكد أن عدد الساعات التي يحتاجها نفس الشخص تكون ثابتة دائماً، فبالرغم من أن الإنسان قد ينام في أحد الليالي أكثر من ليلة أخرى إلى عدد الساعات التي ينامها الشخص خلال أسبوع أو شهر تكون عادة ثابتة.

يعتقد كثير من الناس أن عدد ساعات النوم اللازمة يومياً هو ثماني ساعات، وإذا أردنا الدقة أكثر فإن أغلب الأشخاص ينامون من ٧ ـ ٧,٥ ساعات يومياً، وهذا الرقم هو متوسط عدد الساعات لدى أغلب الناس، ولكنه لا يعني بالضرورة أن كل إنسان يحتاج ذلك العدد من الساعات، فنوم الإنسان يتراوح بين أقل من ثلاث ساعات لدى البعض إلى أكثر من ١٠ ساعات لدى البعض الآخر.

وفي دراسة للمركز الوطني للإحصاءات الصحية بالولايات المتحدة الأمريكية، وجد أن اثنين من كل عشرة أشخاص ينامون أقل من ٦ ساعات في الليلة، وواحد من كل عشرة ينام ٩ ساعات أو أكثر في الليلة، ويدعى الأشخاص الذين ينامون أقل من ٦ ساعات بأصحاب النوم القصير، والذين ينامون أكثر من ٩ ساعات بأصحاب النوم الطويل، ولكنهم طبيعيون، فنابليون وأديسون كانا من أصحاب النوم القصير، في حين أن العالم آينيشتين كان من أصحاب النوم الطويل، بمعنى أن عدد ساعات النوم التي يحتاجها الإنسان إذا كان طبيعياً ولا يعاني من أحد أمراض النوم لا تؤثر على إنتاجيته وإبداعه.

وخلاصة القول أن عدد ساعات النوم التي يحتاجها الإنسان تختلف من شخص إلى آخر، فالكثير يعتقدون بأنهم يحتاجون إلى ثماني ساعات نوم يومياً، وأنه كلما زادوا من ساعات النوم كلما كان ذلك صحياً أكثر، وهذا اعتقاد خاطئ، فعلى سبيل المثال إذا كنت تنام لمدة خمس ساعات فقط بالليل وتشعر بالنشاط في اليوم التالي فإنك لا تعاني من مشاكل ونقص النوم.

هل يتغير النوم مع تقدم السن؟

مع نمو الأطفال فإن نومهم يتغير تدريجياً، ولكن ما إن يصل المرء إلى مرحلة البلوغ ـ حوالي العشرين عاماً من العمر ـ فإن عدد ساعات النوم التي يحتاجها الجسم لا تتغير مع تقدم العمر، ولكن في المقابل فإن طبيعة وجودة النوم تتغير كلما تقدم بنا العمر، فعند كبار السن يصبح النوم خفيفاً وأقل فعالية وأقل راحة، ذلك كله بالرغم من عدم تغير ساعات النوم، والسبب في ذلك يعود إلى أن نسبة كل مرحلة من مراحل النوم السابقة تتغير مع تقدم السن.

فعندما يبلغ الرجل حوالي سن ٥٠ سنة والسيدة حوالي ٦٠ سنة، فإن نسبة النوم العميق (مرحلة ٣ ــ ٤) تكون قد وصلت عادة إلى نسبة بسيطة جداً من وقت النوم، وعند البعض قد تختفي تماماً، فتجد الأشخاص في هذا السن أسرع استيقاظاً نتيجة للضوضاء الخارجية مقارنة بصغار السن، فبالرغم من عدم التغيير الكبير في عدد ساعات النوم مع تقدم السن إلا أن طبيعة النوم تختلف، فيصبح النوم خفيفاً ومتقطعاً طوال الليل، وهذا أحد أسباب النعاس خلال النهار الذي يصيب الكثير من كبار السن.

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية
وحدة إحياء تراث كربلاء مجلة أجوبة المسائل الدينية
التي كانت تصدر في كربلاء عام ١٣٧٥هـ والتي كان
يحررها مجموعة من فضلاء كربلاء